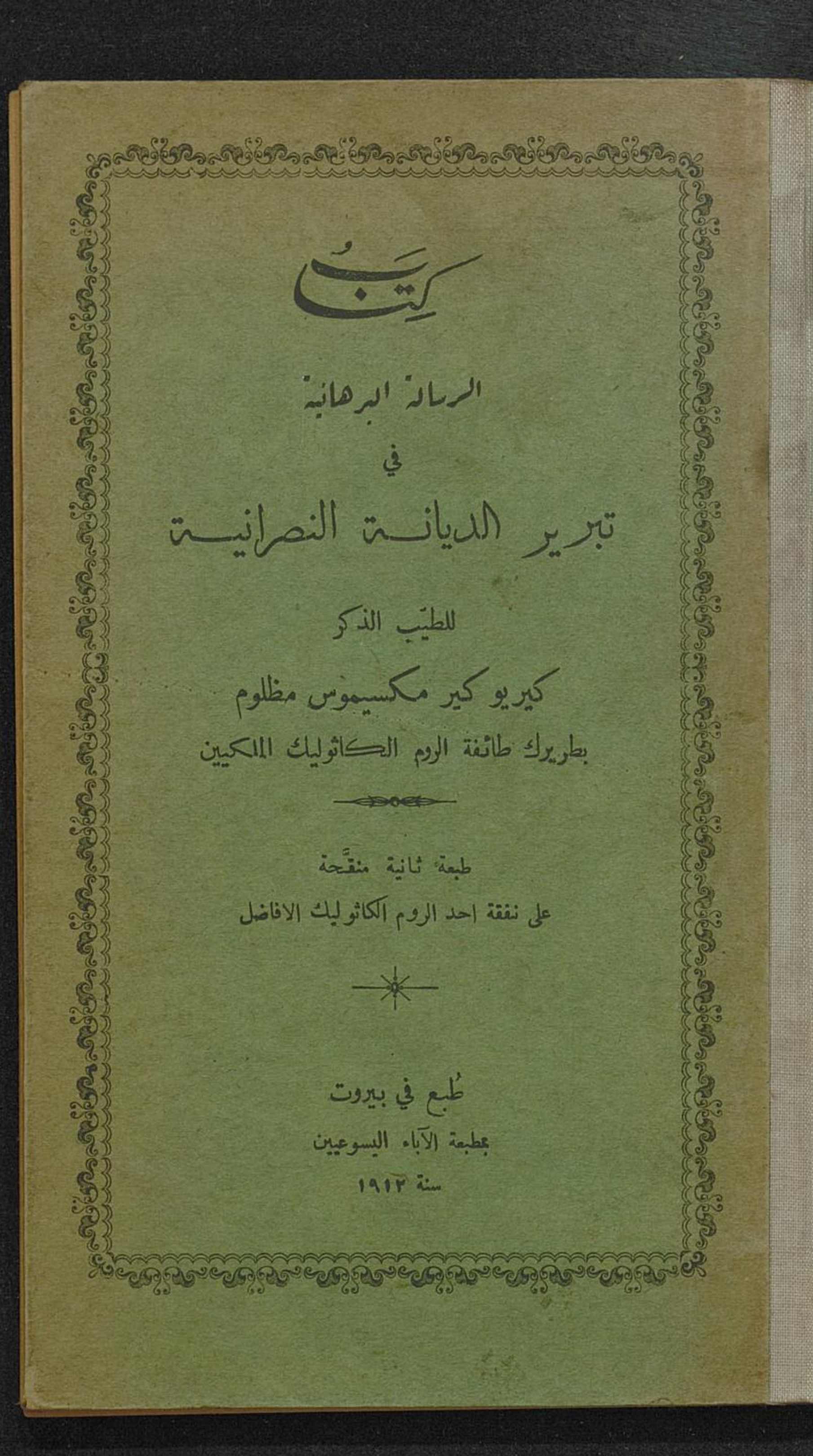


# كتاب

## الرسالة البرهانية

في

# تبرير الديانة النصرانية

للطيّب الذكر

كيريو كير مكسيموس مظلوم

بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الملكيين

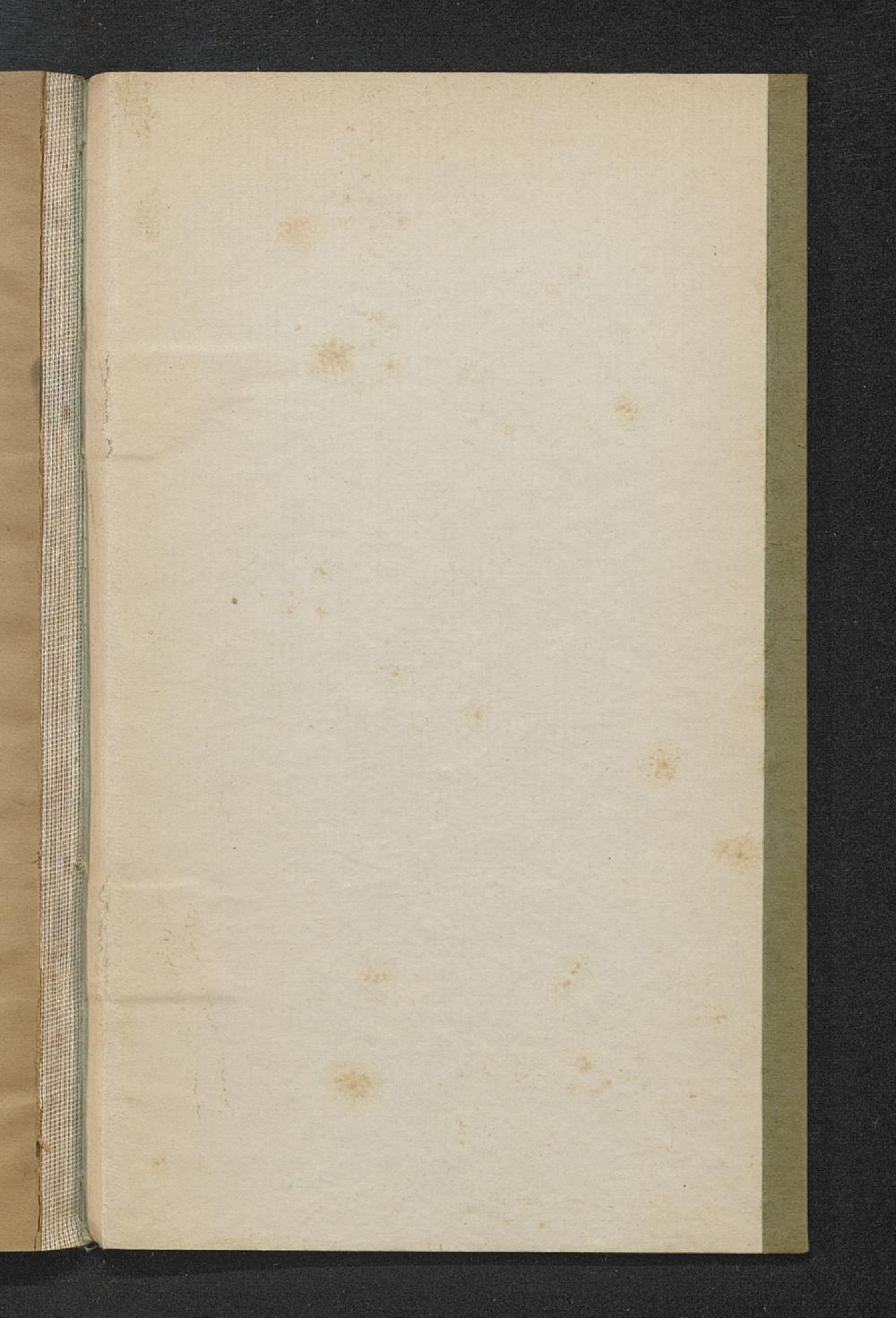
طبعة ثانية منقّحة

على نفقة احد الروم الكاثوليك الافاضل

طُبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

سنة ١٩١٢



# كتاب

## الرسالة البرهانية

في

# تبرير الديانة النصرانية

للطيّب الذكر

كيريو كير مكسيموس مظلوم

بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الملكيين

طبعة ثانية منقَّحة

على نفقة احد الروم الكاثوليك الافاضل

طُبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

سنة ١٩١٢

# المقدمة

لمَّا كان المثلَّث الرحمات غبطة السيد البطريرك مكسيموس مظلوم في مصر القاهرة سنة ١٨٣٧ يتفقَّد شؤون ابناء رعيته ورد عليهِ في غرَّة كانون الاوَّل من ذلك العام كتاب لاحد ادباء المسلمين نرويهِ قريباً يطلب اليهِ ان يجيبهُ عن ١٨ سؤالا القاها عليهِ في امر النصرانية وتعاليمها فاسرع غبطتهُ الى الجواب على كل سؤال باباً باباً برسالة دعاها « الرسالة البرهانيَّة في تبرير الديانة النصرانيَّة » فشاعت هذه الرسالة وانتشرت نُسَخها حتَّى تولَّى طبعها على الحجر في مصر سنة ١٨٥٧ الخوري اغوسطينوس فتَّال الراهب القانوني الحلبي ودعاها « كتاب اليتمة الفاخرة اجوبة الاسئلة الصادرة لسيادة البطريرك المرحوم كيريوكير مكسيموس الحلبي مظلوم » امَّا اسمها الصحيح فكما قدَّمنا « الرسالة البرهانية في تبرير الديانة النصرانية ». وقد رُوي في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (صفحة ١٢٤) « في تدبير الديانة النصرانية » وهو غلط طبعي ظاهر. وكذلك وردت في النسخة الطبعيَّة مقدَّمة مسجَّعة بقلم الخوري فتَّال لا حاجة الى ذكرها هنا

اما هذه الطبعة فقد راجعناها على نسختين خطِّيتين من مخطوطات المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين زيادةً لضبطها ولم نغيِّر شيئاً في الرسالة الاصليَّة وانما اثبتنا في ذيل الكتاب بعض الروايات مع ملحوظات قليلة دفعاً للالتباس .





# الرسالة البرهانيَّة

## في تبرير الديانة النصرانيَّة

مؤلَّفة من قدس السيّد الجليل راعي الرعاة كيربو كير مكسيموس مظلوم البطريرك الانطاكي والاسكندريّ والاورشليمي وسائر المشرق الكلي الطوبى والقداسة على ثمانية عشر سؤالًا مقدَّمة لديهِ من احد علماء الاسلام المتفقّهين في مصر وذلك اذ كان غبطتهُ زائرًا مدينة مصر القاهرة لافتقـاد رعيَّتهِ وكان ذلك في اليوم الاوَّل من شهر كانون الاوَّل سنة ١٨٣٧ للتجسُّد الالهي في مصر المحروسة (١

## سؤالات العالم المسلم

اروم ان تفيدوني عن السؤالات الآتي ايرادهـا جوابًا واضحًا مبرهنًا من العقل النطقي وهي ثمانية عشر سؤالًا :

اوَّلًا : اين هو الله وما هي صفاتهُ المتَّصف بها وتعليل ذاتهِ العليَّة

ثانيًا : كيف يوجد فيهِ ثلاثة اقانيم آبٌ وابنٌ وروحُ قدسٍ وكيف هذه الثلاثة الاقانيم حاصلة على المساواة بالجوهر والذات كواحدٍ (٢ لا ثلاثة

ثالثًا : وهــل ان الاقنوم الاوَّل بواسطة كونه ابًا لا يكون علَّةً لوجود الاقنومين الآخرين او اقلَّهُ يكون ازليًّا عنهما

رابعًا : هل نظرًا الى وجود الثلاثة الاقانيم بواحدٍ لا يتجزَّأ الجوهر ولو بمساواة مُعادِلةٍ على حدٍّ سواء

---

١) هذه المقدمة وردت في احدى النسختين المخطوطتين اللتين لدينا من الاصل

٢) ويروى : بواحد

خامساً : هل ان الاقنوم الثاني بواسطة كونهِ مَولوداً من الاب لا توجبُ ولادتهُ البداية لهُ وكيف ذلك (١

سادساً : واذا كان الابن مساوياً للآَب في الازليَّة فكيف يكون أبناً . وكذلك الروح القدس بسبب انهُ منبثق منهما كيفَ الانبثاق لا يوجبُ عليهِ الحداثة عنهما وعدم الازليَّة

سابعاً : ما المقتضي لهذا التعليل ووجود الاقانيم في الله

ثامناً : هل وجود الاقانيم الثلاثة نظرًا الى المساواة بالازليَّة لا يضرُّ اذا قلنا عن الابن انهُ الاقنوم الاوَّل وعن الاب انهُ الاقنوم الثاني

تاسعاً : ما هي الغاية لنزول الابن الى الارض

عاشرًا : وحيث (٢ وجود الوحدة في الله فكيف نزل وما حصل تجزّئ

حادي عشر : حيث ان الله تعالى هوَ على ما هو عليهِ منذ الازل ويملأ السماء والارض وهما مملوءَتان منهُ وذلك زيادة عن ان نقول مَوْجودٌ في كل مكان فاذا قلنا نزل نوجب عليهِ الانحصار قبلًا فوق . وهذا غير مُدْرَك حيث انهُ يُضادّ وينافي الوجود العموميّ السابق ذكرهُ وينافي وجودهُ في الارض قبل النزول

ثاني عشر : ثمَّ من حيث انهُ حلَّ في بطن مريم البكر وتجسَّد من الروح القدس فكيف تمَّ ذلك من الروح القدس ( لا كيفَ نظرًا الى ولادتهِ من دون زَرْع ) وما هو مَدْخل الروح القدس حيث هو نزل؟ ليت شعري اما هو كافٍ لتام المرغوب او كيف الحال ؟

---

١) ويروى : ام كيف الحال
٢) ويروى : وحسب

ثالث عشر : ثمَّ النفس الناطقة التي اخذها الابن هل هي مخلوقة وكيف وُجدَت

رابع عشر : كيف انحصر مدة الحبَل ماكثًا في بطن مريم البتول مع انهُ عديم الانحصار ولا يسَعهُ الفضاء

خامس عشر : هل على الابن فقط صار هذا الانحصار وان قلتَ ما انحصر حتى ولا الابن فيُقتضى البرهان المقنع للعقل النطقي

سادس عشر : كيف الحكم على العزَّة الالهيَّة في احتمال الذلّ والهوان مع ان الله نظرًا الى جوهره وقوَّتهِ الموجودة فيهِ ازليًا هو عاجز عن ان يفعل ما يوجب اهانته لان الشيء المستحيل والغير ممكن لا يمكن ان يقبلهُ العقل ولا يمكننا ان نقول ان النار تطفئ الماء بل بعكسهِ . وان قلتَ انهُ حصل الهوان على الجسم الانسانيّ المأخوذ من مريم البتول اجبتُك بأنهُ حيث وجود جوهر الكلمة مع الجسد طبعًا فلا يُقبل الهوان كما تقدَّم

سابع عشر : ثم كيف مكث في القبر ثلاثة ايام وهل بهذه المدَّة خلا الجوهر عن الجبلَة او دُفن معها

ثامن عشر : بعد صعوده بالجسد الى السماء اترى هل بقي الجوهر متحدًا مع الجسد اتحادًا كاملًا ومتحدًا مع الاب والروح القدس اتحادًا كاملًا كما كان قبلًا من دون نقصان نظرًا لحدوث اتحاده مع الجسد الذي لم يكن قبل التجسُّد

## اجوبة السيد مكسيموس مظلوم

# بسم الله الحي السرمدي

### وبهِ نستعين

### الفاتحة

امَّا بعد (١ فاقول سألني احد علماء الاسلام الكرام الجليل القدر والمقام ثمانية عشر سؤالاً وهي المسطورة آنفاً معترضاً بها على عقائدنا النصرانية نظراً الى الاقانيم الثلاثة الالهيَّة ونظراً الى تأنس الاقنوم الثاني منهم طالباً مني حلَّها ولكن لا بشهادات كتاب الله واقوال مفسّريهِ بل ببراهين فلسفيَّة عقليَّة . وهذا الامر وان كان عسراً جداً على الضعف البشري وقصر الرويَّة الانسانية وتوضيحه فضلاً عن ادراكهِ كنهاً (٢ ومع ذلك من حيث ان العقائد النصرانية لا تهرب من الفحص لانها نزيهة عن الكتمان والاختفاء اللذين هما من صفات المعتقدات الغريبة عن الحقّ فقد وجب عليَّ اتمام مرغوب الرجل العلَّامة المشار اليهِ فاجيبهُ بهذه الرسالة الوجيزة البرهانية ودعوتها « تبرير الديانة النصرانيــة » ومن ثم اجيب :

---

١) في الاصل المخطوط والمطبوع ١٣ بيتاً من الرجز ليس في روايتها كبير امر احسن ما فيها البيتان الاوَّلان :

احمد الله الواحد الهدى ‌ ‌ اكمل الكوامل سرمدا
حمدهُ كلُّ الصَّلاحِ ‌ ‌ حالهُ كارهُ الطلَّاحِ . . .

٢) في الاصل : « كهنًا » ونظنهُ غلطاً

## السؤال الاول

ابن هو الله وما هي صفاتهُ المتّصف بها وتعليل ذاتهِ العليّة

## الجواب

اقول اوّلاً : ان الله جوهرٌ روحي تامّ كائنٌ بذاتهِ كليّ الكمال واجب الوجود عديم ان يُعرف ببرهانٍ لِمّيٍ اذ لا علّة لهُ بل تمكن معرفتهُ ببرهانٍ إنّيٍ (١ اي بواسطة براياهُ وهو موجودٌ في كل مكان بجوهره وبحضوره وقدرتهِ لان الجوهر الالهي يَنفذ (٢ الخلائق كليّاً ويعلم الصائرات تماماً ويحفظ الكائنات جميعها . وخلوّ هذا الجوهر الغير الممسوح من مكان ما ولو ايناً واحداً (٣ هو نقصٌ يضادّ كونهُ كليّ الكمال في ذاتهِ وصفاته تجلّى تعالى عن ذلك

ثانياً : ان صفات الله التي هي الكمالات الموجودة في ذاتهِ انما تُلاحظ بحسب تصوّرنا وفهمنا على نوعين : فهي امّا صفات مطلقة او صفات مضافة . فالمطلقة تخصّ الجوهر الالهي وتُطلق على الثالوث الاقدس معاً كالصلاح والازلية والسرمدية وعدم التركيب والوجود في كل اينٍ وسائر الصفات التي تُحمَل على الذات وعلى كلّ من الثلاثة الاقانيم معاً (٤ جملةً مطلقاً . امّا المضافة فمنها ما يخصّ اقنوماً واحداً ومنها ما يخصّ اقنومين كالابوّة في الآب والبنوّة في الابن والقوّة

---

١) البرهان الانّي هو الاستدلال من المعلول على العلّة كاستدلالنا من الدخان على النار ومن المصنوعات على صانعها . والبرهان اللمّي عكسهُ اي الاستدلال من العلّة على المعلول

٢) يروى : يُفيد وينقذ وكلاهما تصحيف

٣) يريد بالأين المكان

٤) ويروى : معنًى

الباثقة في الاب والابن معاً والانبثاق في الروح القدس . فالصفات المطلقة فيه عزّ وجلّ لا يمكن ان تتميّز احداها عن الاخرى او عن الذات الالهيّة تميزًا حقيقيًا بل وهميًا فقط بالعقل والتصوُّر لا غير لان القدرة مثلًا في الله هيَ الله . والقدرة والرحمة والعدل فيهِ شيء واحد . وكذلك الصفة والموصوف فيهِ على حدٍّ سواء كقولنا : الله هوَ حكيمٌ وهو الحكمة . خلافاً للصفات المضافة فان احداها تتميّز عن الاخرى تميزًا حقيقياً لان الابوّة هي غير البنوّة وهما غير الانبثاق لوجود التضادّ الاضافي بينهما لانهُ من المحال ان يكون الآب والدًا ومولودًا معاً والابن مولودًا ووالدًا معًا والروح القدس باثقاً ومبثوقاً معاً . ولكن هذه الصفات الاضافية ولئن وُجِد فيما بينها تمييز حقيقي فلا تتميز هي عن الذات الالهية بتمييز حقيقي بل وهمي في العقل لانها مع الجوهر الالهي شيء واحد لعدم وجود التضادّ فيما بينها وبين الذات

ثالثًا : ان تعليل الذات الالهية محال ببراهين لِمّيَّة كما تقدّم القول اذ لا علّة لهُ تعالى وهو لا يصدر من غيرهِ حتى ولا من ذاتهِ بل هو كيانٌ ازليّ وجوديّ بذاتهِ غير معلول بل هو علّة لجميع الكائنات اذ هي منهُ وبهِ واليهِ وهو وحده يدرك ذاته العديمة الادراك من غيره ولو امكن تعليلهُ لميًا لَما كان الهاً وانما قد عُرف ويُعرف اعني لا بما هو عليهِ ذاتاً لكن بحقيقة وجوده إنّيًا ببدائع قدرته مرئيّةً كانت او غير مرئيّة

## السؤال الثاني

كيف يوجد فيهِ تعالى ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس وكيف ان الثلاثة حاصلون على المساواة بالجوهر والذات كواحد لا ثلاثة

## الجواب

اقول اولًا : انهُ من حيث ان الله هو جوهر روحيّ عاقل فريد فضرورةً

فيهِ عزَّ وجلَّ العقل والارادة جوهريًّا فِعليًّا دواميًّا لا مُلكيًّا او امكانيًّا (١ كما يعرض لقوى انفسنا لانَّ هذا العرَض نقصٌ فينا تجلَّى الله عنهُ فلم يكن اذًا ممكنًا لهُ ان لا يعقل ذاتهُ الكلّية الكمال بتعقُّل ازليٍّ فاعليٍّ او ان لا يحبَّ هذه الذات الفائقة العظمة بارادتهِ الفاعلة دائمًا . على ان العقل الذي هو قوَّة جوهريَّة في الطبيعة الروحية كما في الملاك وفي النفس الناطقة اذا عقَلَ موضوعًا ما فهو يرسم في ذاك الموضوع صورتهُ ان صالحًا وان طالحًا . وحينئذٍ تبرز الارادة مفعولها نحو الموضوع نفسه اما بحبّها اياه لصلاحهِ واما بكرهها اياه لطلاحهِ . فكذلك بقياس التمثيل اذ ان الله روح اي جوهرٌ محض ولهُ ضرورةَ فعلُ التعقل دائمًا فهو ازليًّا يعقل ذاتهُ . وحدّ هذا التعقُّل هو صورة حيَّة صادرة عن الذات غير القوَّة العاقلة . ثم يحبّ هذه الصورة سرمدًا بقوَّة ارادتهِ الحيَّة الفاعلة وحدُّ هـذا الحبّ ينتهي بطلعة اخرى غير القوة المُحِبَّة بالارادة لان المحبوب هو غير المُحِبّ كما ان المعقول هو غير العاقل . الَّا ان تمييز القوَّة العاقلة في الجواهر الروحية غير الله من الموضوع المعقول وتمييز قوة الارادة المحبَّة من محبوبها هو تمييز عرضيٌّ . اما الله عزَّ وجلَّ فتسامى عن الاعراض سموًّا غير متناهٍ لانهُ تعالى جوهر بسيط محضًا كليٌّ الاتساع والخصب وكل ما فيـهِ هو ذاتهُ عينها والقوة العاقلة فيهِ لا تعطي معقولها (٢ المنطبعة هيَ فيهِ بفعل التعقل غير ذاتها نفسها كما انَّ قوَّة الارادة فيهِ لا تعطي المحبوبَ منها المتميّز عنها غيرَ ذاتها عينها

وبالتالي ان قوَّة العقل والارادة في الجواهر الروحيَّـة غير الله هي قابلة الانتقالات والتغيير اذ هي اعراضٌ . اما في الذات الالهية فجوهرٌ بل هي ذاتُ الجوهر الالهي فهي في الله دائمًا عديمة هـذه العوارض . واذ يعقل الله ذاتهُ الالهية فبواسطة ذاتهِ يعقل الاشياء كلّها لان الله هو فعل محضٌ خلافًا لتعقُّل

١) يريد بالمُلكي المُكتسب بالامتلاك . والإِمكاني غير واجب الوجود . ويروى : مكانيًا

٢) ويروى : مفعولها

النفس الناطقة المنتقل بالافعال . ولذلك مبدأٌ عامّ في معتقدنا نحن المسيحيين عن الابن ان بهِ كان ويكون كلّ شيء من حيثُ ان فعل تعقُّل اللهِ ذاتَهُ لا يخرج عن ذاته وبهِ يعقل الاشياء كلّها . فاذًا العاقل والمعقول والمحبوب من كلَيهما ليسوا واحدًا في القنومية ويوجد تميز حقيقي فيما بينهم وإن كانوا واحدًا في الطبيعة والجوهر لان لهم ذاتًا عديمة الانقسام نزيهة عن الاعراض مُشاعة للثلاثة بالتساوي التامّ ولان كلاً منهم يمتلكها كاملةً . وكما انهُ محالٌ ان يوجد الهان او اكثر بل الهٌ واحدٌ فردٌ صمد نزيه عن كل ندّ او شريك فمحال ان الله العاقل ذاتهُ والمحبُّ لصورتهِ ( وحدُ الحبّ الصادر عنهُ بالارادة غير الحد الصادر منهُ بالتعقُّل ) يكون واحدًا بالقنومية فاقدًا التمييز فيما بين العاقل والمعقول والمحبوبُ مِنهما (١ . ومحال ايضًا وجود العرض في الذات الالهية بل كلُّ ما هو في الله العاقل هو الله وكل ما هو في الله المعقول هو الله وكل ما هو في الله المحبوب منهما بفعل الارادة هو الله . فهكذا محال هو ايضًا ان الله الواحد بذاتهِ وجوهره وصفاتهِ المطلقة لا يكون مثلث الصفات الاضافية الاقنومية المتميزة احداها عن الاخرى تميزًا حقيقيًا . ولئن لم يمكن لضعف الرؤية البشرية ادراك هذا التمييز كنهاً كما هو عليهِ في نفسه فالواجب التسليم بهِ والاذعان ضرورةً بوجوده

ثانياً : تقريباً للمفهومية الانسانية اقول : انه فيما بين النموذجات الاخر الطبيعية التي تُشبه بعض الشبه ما نحن في صدده توجد هذه الثلاثة الامثلة وهي الشمس والنار والنفس الناطقة

فالشمس هي جوهر واحد ومع كونها جوهرًا واحدًا تحتوي على قرصها وشعاعها وحرارتها . فالقرص هو غير الشعاع وهما غير الحرارة لان قرصها يدفع الينا شعاعها والقرص والشعاع يبعثان الينا الحرارة الصادرة عنهما فاذًا يوجد في جوهر الشمس الواحد ثلاثة اشياء يتميز احدهما عن الآخر تميزًا حقيقيًا

١) سقط هنا من النسخة المطبوعة بعض الفاظ اعدناها عن النسختين المخطوطتين

وكذلك النار وضياؤها والاحراق الصادر عنهما هي ثلاثة اشياء في واحد يتميز احدهما عن الاثنين وكلٌ منهما عنهُ

وهكذا النفس الانسانية وقوَّة التعقُّل وقوَّة الارادة فيها . لان ماهية النفس ذاتاً ليست هي القوَّة العاقلة . والقوَّة العاقلة ليست هي القوَّة المريدة

وبالتالي ان تميزًا حقيقياً كائنٌ فيما بين هذه الثلاثة اشياء مع انها واحدة جوهرًا . فاي نعم ان الشعاع والحرارة الصادرين عن الشمس ومثلهما الضياء والاحراق الصادران عن النار وكذلك قوَّتا العقل والارادة الصادرتان عن النفس كلها بصدورها هي اعراض تجلّى الله عنها ولكنها امثالٌ جزيلة المناسبة لتقوية المفهومية البشريَّة . وان كان في الخلائق المتناهية المحدودة الضعيفة يوجد هذا التثليث في واحدٍ جوهرًا بتميز حقيقي فكيف لا يوجد في الذات الالهية الواحدة جوهرًا العديمة التناهي الغير المحدودة الكلّية الاتساع والخصب الفاعلة سرمدًا العديمة ان تكون عقيمة في افعالها والمستلزمة وجود الصفات الاضافية جوهرًا لا عرَضًا والتزيهة عن التجزّئ والانقسام ذاتاً . فاذًا توجد في الله هذه الصفات الاضافية الاربع للثلاثة الاقانيم الكائنة في ذاته الواحدة اي : صفةٌ فاعلية التعقل في الاقنوم الاوّل . وصفة مفعوليَّة التعقل في الاقنوم الثاني . وصفة فاعلية الانبثاق في الاقنومين الاول والثاني بقوة الارادة الواحدة فيهما ونتيجة للحب المتردد بينهما . ثم صفة مفعولية هذا الانبثاق في الاقنوم الثالث . وانما نقول فاعلية ومفعولية على جهة التوسيع تقريباً لمفهوميتنا لا بحصر اللفظ (١

١) هذه الشروح كما ترى وكما اشار اليهِ المؤلف رحمهُ الله هي تفاسير وتشابيه تقرّب الى عقلنا سرّ الثالوث الاقدس وليست برهاناً حقيقياً اذ من المحال ان يُقام دليل على ما يفوق ادراك كل الخلائق . فغاية ما يستطيع العقل بعد ان يتحقّق وقوع الوحي بهِ ان يفنّد مزاعم المعترض ويُريهِ بالتميز والايضاح والتشابيه ان ادلّتهُ لا توجب المناقضة في السرّ

فهوذا قد اتضح وجوب كيان هذه الصفات الاضافية في الذات الالهية الواحدة ووجوب تمييز احداها من الاخرى تمييزًا حقيقيًا مع وحدة الجوهر الالهي العديم التجزّئ والانقسام ومع تساوي كلّ من الثلاثة الاقانيم تساويًا كاملًا مع الاخر اذ هم واحدٌ في الذات ولكلٍ منهم الجوهر الالهي بجملته مشاعًا لهم وهم بهِ واحدٌ فقط

ثالثًا : انّ الاقنوم الاول دُعي ابًا ووالدًا والثاني سُمّي ابنًا ومولودًا وكلمةً وحكمةً والثالث لُقب بالروح القدس وبارقليطًا . وذلك مجازًا واستعارة بالمناسبة الكلية لحال الصدورات الكائنة فيما بينهم لان الاقنوم الاول هو بصورة بدءٍ وينبوعٍ للاقنوم الثاني البارز منهُ بفعلٍ يستلزم مماثلة فاعلهِ وهو فعل التعقل طبيعةً وجوهرًا كاملًا مُساويًا لهُ ولذلك قد حسُنَ ان يُدعى أبًا ووالدًا للاقنوم الثاني الذي لهذه العلّة بالصواب سُمّي ابنًا ومولودًا تناسبًا للمعنى المطابق الإيلاد الذي تحديده « صدورُ حيٍ من حيّ بمبدإٍ مقترن يستلزمُ شبهَ طبيعتهِ » . لانّ الاقنوم الثاني هو صادرٌ من الاقنوم الاوّل حيًا من حيّ بمبدإٍ مقترن بل واحد مع الذات كون العقل الالهي واحدًا مع الذات وباشدّ تماثل يستلزم شبه الطبيعة بل الطبيعة عينها . ومن ثمّ دُعي الابن كلمةً ايضًا لانهُ صادر عن الآب لا كالبشر وغيرهم (تسامى الجوهر الالهيّ عن ذلك) لكن بفعل التعقُّل صورةً جوهرية للّاهوت وكلمة نطقية للعقل الالهي كما هو فحوى لفظة الكلمة التي هي مولودة من العقل ولئن برزَت من الفم . ولذلك بكل لياقة سمّي الابن حكمة ايضًا لصدوره عن فعل التعقل الالهي الذي هو الحكمة ذاتًا . وهكذا الاقنوم الثالث بالصواب دعيَ روحًا قدوسًا لصدوره عن الاب والابن بمبدإٍ واحد بفعل الارادة وتردُّد الحب (١ وهذا الفعل لا يستلزم كفعل (٢ التعقُّل صدور شبههِ لكون الارادة لا تبتغي شبهها في المحبوب منها بل

---

١) فكأنّ الروح القدس هو التنهُّد المتبادل بين الآب والابن

٢) في الاصل : كمَقل وهو تصحيف

تصبو (١ نحوه بانعطاف، كانهُ بهيَجان روح وبفيَضان نفس ولكن هيجان وفيضان قدسيّ لائق بالله لانهُ حب الجوهر الالهي وهو الذات الالهية عينها المنبثقة من الاب والابن كهيجان الارادة بالحب نحو محبوبها . فتسميتهُ روحاً لقب لا يوجد انسب منهُ . فهذا الاقنوم الثالث يُدعى بارقليطاً اي مُعزّياً لانَّ نعَم الله ومواهبهُ على خلائقهِ تفاض منهُ بعواطف حبٍّ نتجت (٢ عن ارادتهِ تعزية لبراياه (٣

## السؤال الثالث

هل ان الاقنوم الاوَّل بواسطة كونه ابًا لا يكون علَّة وجود الاقنومين الآخرين واقلهُ يكون ازليًّا عنهما ؟

## الجواب

اقول اولًا : انهُ محالٌ ان يوجد في الذات الالهية او فيما بينَ اقانيمها الثلاثة القدسية علةٌ او معلول لان الجوهر في كل الثالوث كامل (٤ عديم البداية وصدور الواحد من الآخر لا يستلزم في ذلك قَبليَّة ولا بَعديَّة كما يحدث

---

١) في الطبعة الحجريَّة « تضيف » وهو تصحيف

٢) ويروى : بعواطف حبهِ نتيجةً

٣) ان معزّي البشر ومقدّسهم ومثير الحبّ الالهي في قلوبهم انما هو الثالوث الاقدس لانَّ افعال الله الخارجية هي للاقانيم الثلاثة . على ان الروح القدس يُدعى بارقليطاً ومعزّياً ومقدّساً للبشر على سبيل التخصيص . ولذلك اساسٌ كون الروح القدس هو الحُبّ الاقنومي للاب والابن . ولما كانت تعزية الثالوث الاقدس لعبادهِ وتقديسهُ اياهم صادرَين عن حبهِ الجوهري الذاتي صحَّت نسبتهما على سبيل التخصيص الى الحب الاقنومي اي الى الروح القدس . كذلك انارة العقول هي مفعول في واقع الحال للاقانيم الثلاثة وانما عُزيت على سبيل التخصيص الى الحكمة الاقنومية وهي الابن

٤) ويروى : لان لكلٍّ من الثالوث الجوهرَ كاملًا

في الصدورات المخلوقة (١

ثانياً : قلتُ اعلاه عن الآب الاقنوم الاوَّل انهُ بمنزلة بدء وينبوع للابن وهو مع الابن للروح القدس وذلك لعدم صدوره من اقنوم آخر وهذه انما هيَ تسمية مجازية لا بالحصر

ثالثاً : اي نعم انهُ حسب ضعف الرؤية البشرية لا يقدرُ احدٌ ان يتصوَّر صدوراً ما خلوًّا من ان يتصوَّر مُصْدِرهُ متقدماً عليهِ في الزمن ولو وهمياً ولكن هذا عديم الامكان في تلك الذات الواحدة الكلية الكمال في كل نوع. ومع ذلك ان كنَّا نفهم من قياس التماثيل الموردة آنفاً ان قرص الشمس لم يوجد ولا بنقطة واحدة من الزمن قبل شعاعها وحرارتها ولا النار قبل ضيائها واحراقها ولا النفس الناطقة قبل قوَّتَي العقل والارادة فيها مع ان هذه الثلاثة الجواهر هي مخلوقة متناهية والفرق فيما بينها وبين الجوهرِ الالهي هو عديم التناهي فاي صعوبة توجد في تسليمنا ضرورةً بعدم وجود قبليّة وبعديّة في الصدورات الالهية اي بعدم قبلية الاب عن الابن والروح القدس وبعدم بعديتهما عنه في الوقت الذي فيهِ نسلِم ضرورة بعدم تمييز الاقانيم الالهية الثلاثة عن الجوهر الواحد ولان تمييز احدهم عن الاخر تمييزٌ حقيقي بالصفات القنومية الاضافية

## السؤال الرابع

هل انهُ نظراً الى وجود الثلاثة الاقانيم بواحدٍ لا يتجزَّأ الجوهرِ ولو بمساواةٍ معادلةٍ على حدٍ سواء

## الجواب

اقول اوَّلاً : اني قد اوضحتُ لحدّ ههنا ما بهِ الكفاية عن وحدة الذات

١) الصادر هو الاقنوم لا الجوهر الذي هوَ واحد في الثالوث ولا يُعَدّ معلولاً ما ليس علّة لجوهرهِ ( اطلب السؤال الخامس )

الالهية في اقانيمها الثلاثة خلواً من انقسام لعدم تميز الصفات الاضافية عن الجوهر الالهيّ المشاع لها عموماً وكيف انّ كلاً من الاقانيم حاصلٌ عليهِ تماماً

ثانياً : انَّهُ ضربٌ من التجديف والكفر بالله ان يقال ان الطبيعة الالهية يمكن انقسامها وتجزّيها لان هذا هو نفس نكران الالوهية عليهِ تعالى اذ لو امكن انقسام جوهره الالهي لَما كان الهاً

ثالثاً انهُ مبدأ فلسفيّ يقيني كلّي الوضوح وهو ان الجوهر القابل الانقسام يمكن تجزّيهِ الى ما لا ينتهي من الاجزاء . فلو امكن تجزّي الذات الالهية ( والعياذ بالله من هذا القول ) لأَمكن تقسيمها لا الى ثلاثة فقط بل الى الوف الوف الاجزاء الامر الذي لا امكان لهُ ولا في الملاك ولا في النفس الناطقة مع انهما مخلوقان متناهيان . فاذاً لا بُدّ من القول ان الذات الالهية مع وجودها في ثلاثة اقانيم لا تتجزّأ البتة وانها باقية في وحدتها

## السؤال الخامس

هل ان الاقنوم الثاني بواسطة كونهِ مولوداً من الاب الا توجب ولادتهُ البدايةَ لهُ وكيف ذلك ؟

## الجواب

اقول اولاً : تقدَّم مني الابراد عن عدمية القَبْليَّة والبَعْديَّة في الصُّدورات الالهية بما لا حاجة لاعادتهِ

ثانياً : لان المُبتَدأ لا يتأخر عن مُبدئهِ الَّا اذا انفصل هو بجوهره عن جوهر مبدئهِ والحال ان الجوهر واحد في الثلاثة الاقانيم الالهية خلواً من تميز او انفصال عنه . فاذا ليس ثَمَّ قبل ولا بعد

ثالثاً : لان العقل والتعقّل في الذات الالهية هما واحدٌ فعلاً . كما ان الارادة وفعل الارادة فيها هما ايضاً واحدٌ فعلاً فلا يمكن فيهِ تعالى وجود العقل متقدماً على فعل التعقّل ولا وجود الارادة متقدماً على فعل الارادة والّا لَوُجد العقل الالهي والارادة القدّوسة ولو بنقطة واحدة من فسح الزمن خاليَيْن من الفعل وهذا نقصٌ تجلّى الله عنهُ . فاذاً لا تقدُّم للآب على الابن او على الروح القدس ولا تأخير لهما عنهُ ولو اعتُبرَ هو بمنزلة مُبدئ لهما حسب مفهوميتنا الواهية

## السؤال السادس

اذا كان الابن مساوياً للآب في الازلية فكيف يكون ابناً وكذلك الروح القدس بسبب انهُ منبثق منهما كيف الانبثاق لا يوجب عليه الحداثة عنهما وعدم الازلية ؟

## الجواب

اجيب كذلك اولّاً : بانهُ تقرَّر آنفاً ما يُغني عن التكرار لان هذا السؤال لا يختلفُ ذاتاً ومعنًى عمّا سبقهُ فالجواب هو واحد لهما

ثانياً : اذ قد تبيَّن انهُ لا يمكننا ان ندرك ادراكاً كاملاً ذات الله وتمييز صفاته القنوميَّة احدها عن الاخر حقيقةً مع عدم تمييزها من الجوهر الالهي وكيف توجد صدورات اقانيمه الثلاثة خلواً من قدمية الواحد وحداثة الاخر عنهُ فنلتزم ضرورة بان نعرف دناءتنا وقصر مفهوميتنا فذلك احرى من ان نتعجب من عدم هذا الادراك لاسيما انهُ لو امكنَنا ان ندرك الله كما هو عليهِ لَما كان الله الهاً غير مُدرَك أو لَكنَّا نحن آلهةً نظيرهُ او قلّما يكون لوُجد ايماننا بالله طبيعياً مُدرَكاً منّا تماماً كالاشياء الطبيعيَّة ولَما كان اعتقادنا بهِ ايماناً الهيّاً (١

١) هذا لا ينفي امكان الوحي بحقائق طبيعيَّة لا تفوق ادراكنا كوجود الله

ثالثًا : انهُ لمبدأ عامّ عند الفلاسفة وفي المدارس ان الجزء الاعظم من الاشياء التي نفهمها هو الجزء الادنى من الاشياء التي نجهلها وذلك نظرًا الى الطبيعيات وبالاحرى الالهيات اي الجواهر العديمة الهيولى المخلوقة فكم يكون اعظم جهلنا وعدم استطاعتنا ادراك الذات الالهية وصفاتها القنوميَّة ادراكاً تامًّا وهذا الامر من المحال مطلقًا

## السؤال السابع

تُرى ما هو المقتضي لهذا التعليل ووجود الاقانيم في الله ؟

## الجواب

اقول اوّلًا : ان المقتضي ذلك هو الحق نفسهُ اي ان الله حقًّا هو واحدٌ بالذات ومثلَّث الاقانيم فيلزمنا ان نعتقد بهِ هكذا كما هو عليهِ ليكون ايماننا بهِ تامًا لا متجزّئًا بالتبعيض

ثانيًا : لانهُ عزَّ وجلّ اذ ميَّزنا تفضيلًا عن براياه الأُخر الغير الناطقة بخلقتهِ انفسنا عاقلةً فهيمةً حيَّةً غير قابلة الموت وذلك لكي نعرفهُ بالعقل وندركهُ بالفهم بمقدار ما يجبُ علينا وبما هو ممكنٌ لدينا . والحال اننا نستطيع ان نعقلهُ واحدًا بالذات مثلَّثًا بالصفات الاضافيَّة ما عدا صفاتهِ المطلقة ونفهمه هكذا قلَّما يكون مفهوميَّة غير تامّة نظرًا الى حقيقةِ ما هو عليهِ وبواسطة براهين إنّية صادرة عنهُ واقيسة طبيعية تمثِل لنا تقريبًا لمعقولاتنا هذه الحقائق بما نستطيع ان نصل الى معرفتهِ . فاذًا اقتضى الامر بلا بدّ

ثالثًا : لانني اذا عدلتُ هاهنا عن ايراد ما اعلنهُ الله الحقّ بالوحي في كتبهِ

---

وخلود النفس . فالايمان بهذه الحقائق هو ايمان صحيح الهيّ لا نظرًا للموضوع المادّي الموحى بهِ بل نظرًا للموضوع الصوري وهو كلام الله الحقّ بالذات

الشريفة وبواسطة انبيائهِ الافاضل عن حقيقة كونه موحَّدًا بالذات مثلّثًا بالاقانيم (وعدولي هذا انما هو من قبيل ان العلّامة المومأ اليهِ أعلاهُ أراد ذلك) فلا اقدر اصمتُ عن الوف وملايين عديمة الاحصاء من البشر الاكثر فقهًا والأَبلغ فلسفةً والأوفر علماً والأَشدّ محاورةً والاكثر امتدادًا في العالم كلّه والاقدم اجيالًا والأَعمق بحثًا قد اعتقدوا بهِ عزَّ وجلّ هذا المعتقد الصحيح خلوًا من اختلاف وما ذاك الّا لانهم عرفوا الامر قبلنا ونظيرنا مقتضيًا وجوبًا ولزومًا لا عبثًا وفضولًا (لأَنهم تحقّقوا وحي الله بهذا السرّ)

## السؤال الثامن

هل وجود الاقانيم الثلاثة نظرًا الى المساواة بالازلية لا يضرُّ اذا قلنا عن الابن انهُ الاقنوم الاول وعن الاب انهُ الاقنوم الثاني

## الجواب

اجيب اولًا: انّهُ مّما تقدَّم ايراده في الاجوبة على السؤالات يظهر واضحاً وجوب رتبة الثالوث الاقدس بالتسميات المحقّة لهم حسب معناها اليقيني اي تسمية الآب قبل الابن وتسميتهما قبل الروح القدس لانهُ بحسب هذا المعنى اليقينيّ ضربٌ من التناقض تسمية الابن قبل ابيهِ والآب بعد ابنهِ ومثلهُ تسمية الابن اقنوماً اوّل والآب اقنوماً ثانياً (١

ثانيًا: ان صدور هذه الاقانيم احدهم عن الآخر يحقّق لا تسميتهم فقط بل رتبتهم (٢ ايضًا لانهُ محال ان تسمّى الصورة المعقولة اوّلًا والقوّة العاقلة ثانيًا

---

١) ذلك نظرًا الى ادراكنا الضعيف كما قال المؤلف . ولكن في واقع الحال ليس اوّل ولا ثانٍ ولا ثالث لتساوي الاقانيم الثلاثة في الجوهر وجميع الصفات الّا الصفات الاضافيّة

٢) يريد المؤلف رتبتهم على حسب ادراكنا لأَنَّ الانسان يدرك القوّة ثم فعلها ثمَّ الحدّ الذي تنتهي اليه

لانهُ انقلاب مضادّ لمجرى الطبيعة . كما انهُ محال ان يسمَّى هيجانُ الحبّ نحو الموضوع المحبوب قبل فعــل الارادة التابعة التعقّل . فاي نعم ان الثلاثة الاقانيم متساوون في الازلية والذات ولا تتميَّز صفاتهم القنوميــة من الجوهر الالهيّ وإن تميَّز احدهم عن الاخر ولكن تساويهم في الجوهر لا يُبيح اختلاف رتبهم لا عن حقيقة تسميتهم ولا عن نوع صدورهم

ثالثًا : ان اقنوم الاب ما عدا كونهُ ابًا لهُ بهذه الاضافة التسمية الاولى فهو حسب الصدورات لا يصدر من اقنوم آخر فلهُ اذًا بكلّ الوجوه تسمية الاقنوم الاوَّل وهذا لا ينعكس اصلًا

## السؤال التاسع

ما هي الغاية في نزول الابن ( اي الاقنوم الثاني ) الى الارض

## الجواب

اجيب اوَّلًا : بان المفهوم بالسؤال المذكور هو تأنُّس الابن اي اتخــاذه من دماء مريم البكر ابنــة يواكيم التي هي من ذرّية النبي داودُ من سبط يهوذا جسدًا انسانيًا مقتنِمًا اياه باقنومه الالهي . وهذا لغايتين او علّتين احداهما تلاحظ الله والاخرى تلاحظ الطبيعة البشرية فالملاحِظة لله تقدَّست اسماؤه هي انهُ شاء أن يمنّ على بريَّتهِ العاقلة بمنحة تعلن سموّ جودهِ وبفضل يفوق بما لا يُحَد على سائر ما تكرَّم بهِ من النعم سواها والمواهب الأُخر الصادرة بأمره خارجًا عن ذاتهِ وهذه المنَّة ان يُرَقي العجنة الانسانية الى مرتبة كليَّة السموّ مقتنِمًا اياها باحد اقانيمه الالهيَة مُجديًا لهــا باتحاده الحقيقيّ مجدًا عظيمًا عديم الوصف لتكون تلك المنَّة والفضل ذكرًا سرمديًا لافعال رحمتهِ وجودتهِ وقدرتهِ

وامّا الغاية الملاحظة الطبيعة البشرية فهي تهوُّر هذه الطبيعة في وَهدة العصيان المبين على خالقها باثمٍ شرُّهُ غير متناهٍ لاحتوائه اهانة عظمى في حق عزةِ الهيَّة

لا يتناهى شرفُها وذلك في شخص آدم ابي الدَّوحة البشرية ووكيلها ومُمثّلها في شخصه بكيانها في صُلبِهِ اذ انه سخر بالله محتقرًا امره الذي به منعه تحت التوعّد بقصاص الموت عن الاكل من ثمر الشجرة المعروفة في الفردوس الارضيّ فأكلَ من ثمرتها مع حَوّاء امرأته الأمر المعروف في العالم اجمع من دون ارتياب . وبهذا العصيان آدم وذرّيته بأسرها خسروا جميع النعم الالهيّة الفائقة الطبيعة وانجرحوا في المواهب الطبيعيَّة عينها جراحاتٍ مُثخَنة (١ وحُكم عليهم عدلًا من قبل الله بالقصاص المنوَّه بهِ اي بالموت الجسديّ بعد الموت الروحي الذي التحق بهم حقًا بفقدانهم نعمة البرارة مُعذّبين للعقاب الدّائم في جهنم عوض حياة النعيم وجنة الافراح السماوية . واذ قد نتج منه شرّ المعصية في حَقِّ الله ذي العزّة الغير المتناهية فأني اسألك ايها الفقيهُ ان تخبرني كيف يستوفي (٢ العدل الالهي حقّهُ من الطبيعة البشرية الساقطة بعد اقترافها هذه الاهانة الكلية بعصيانها عليه الّا باجراء العقاب المورد آنفًا اي بعذابها سَرمدًا في طرطوس (٣ النار المؤبدة وبذلك لا يكون الله مارس نحوها افعال رحمته بل اباد جبلتهُ بالكلّية واما بأن يَغفر لها شرّ جنايتها هذا العظيم مجانًا وبذلك لا يكون استوفى ما يخصّ عدله وكرامة ذاتهِ وربوبيته

فأن قلتَ ان آدم وذرّيته يستغفرونه تعالى بالتوبة والندامة والاعمال الوفائية كالأصوام والصدقات وقهر الذات وامثالها فهذا القول لا يُوافق ذكاء فهمك وتَعَمُّق علمك لأنَّ افعالًا كهذه مقدّمَة لله ممّنْ هم خالون من نعمته

١) قول المؤلف ان آدم بعد سقطتهِ جُرح وذرّيتهُ في المواهب الطبيعيَّة قد اراد بِهِ فقدهُ لتلك المواهب الفائقة الطبيعة التي كان تبرّع بها الله عليه وعلى ذرّيتهِ يوم خلقهُ في حالة البرارة الاصليَّة ومنحهُ النعمة المبرّرة واهّلهُ للتمتُّع بهِ تعالى في دار الخلود فهذه المواهب التي تفوق كيان الطبيعة البشريَّة خسرها الانسان بخطيئتهِ . امَّا المواهب الطبيعيَّة الملائمة للطبيعة البشرية التي لا تفوق كيانها وانمَّا تفوقها فقط من حيث اتيانها او فعلها فلم يخسرها

٢) وفي النسخة المطبوعة « يستولى » وهو تصحيف

٣) كلمة يونانية معناها الجحيم

مبغضون منه لعصيانهم هي عديمة القبول لديه . ثم ترى اية مناسبة فيما بين خليقة هكذا دنيَّة مِن تراب الأرض وبين خالق كلّي العظمة والجبروت لتكون اعمالهم الوفائية حاصلة على التساوي لعزته الضابطة الكل لا بل لو قدّم عنهم ملاك من اعظم ما يوجد في مصافّ الملائكة اعمالًا وفائية توازي بعددها ارمال الكون المادّي وبصرامتها كلّ المرائر التي يمكن تصوّرها عقلًا وبصلاحها جميع ما لا يمكن الفكر ان يتوهّم اجود منها أفليست هذه كلها اعمال خليقة؟ أو ليس استحقاقها متناهياً ؟ فكيف يمكنها ان تنفي عن شرّ الاهانة المصنوعة في حق جلالٍ غير متناهٍ . فمن ثمَّ دبّرت حكمة الله طريقةً بها تكملُ الغايتان المتقدّم ذكرهما اي اظهار جودته وفضله وسخائهِ ورحمته في انقاذ الجبلّة البشرية من الدثّار والهلاك الأبديّ مع استيفاء ما يحقّ لعدله عن الاهانة بكرامةٍ موازية لجلاله وذلك بواسطة اتحاد احد اقانيمه الالهيّة بهذه الجبلّة وتقنّمها بهِ لكي تصيرَ بهذا الاتحاد اعمالها الوفائية اعمال اقنومٍ الهي معادلةً لعزّتهِ كمن إلهٍ الى اله وكمن مُساوٍ الى مساوٍ لاجل شرف عظمة الاقنوم الألهيّ المتقنّمة هي به وهذا هو ما صنعه عزّ وجل في تأنس الابن الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس (١

ثانياً ان هذا التأنس لم يكن عديم القابليّة او نقيض الامكانية لا نظرًا الى الذات الالهية ولا نظرًا الى الطبيعة الانسانية

امّا كونه موضوعاً قابلًا من جهة الله فذلك يظهر ليس فقط من كونه قادرًا على كلّ شيء والامور باسرها مستطاعة لديه وبه يُظهر اعظم افعال صلاحه وسخائهِ ورحمته بل ايضًا لان هذا الاتحاد لا يضادّ ربوبيتهُ عزّ وجلّ وبساطة جوهره ولا يُحدث تركيباً او تأليفاً في الالوهية او الاقنوميَّة الالهية وإن

---

١) كل هذا من باب اللياقة فقط ليس من الامور الواجبة . لانَّ تأنُّس الابن لم يكن واجباً الَّا على بناء ان يطلب الله تعويضاً عن اهانة آدم موازيًا لعزّتهِ تعالى . وانما كان يمكنهُ عزَّ وجلّ ان يرتضي بتعويض بشريّ محض ولو غير مستوفٍ للعدل الالهي

وُجدَ الابن بعد التأنُّس قائمًا من طبيعتين وفي طبيعتين الهية وانسانية . كما انّه
لا يُحدث في النفس الناطقة تركيبٌ او تأليف في ذاتها باتحادها بجسدها الحيوانيّ
صائرةً صُورة له مع دوامها جوهرًا روحيًا بسيطًا خاليًا من الامتزاج . لانه متى
اقترن جوهر بجوهرٍ اتحادًا يلزمهما حدّان : فالحدّ الاوّل يُسمّى موضوع الاتحاد
اي محلّهُ . وثانيهما يدعى حدّ الاتحاد النهائي . ففي هذا الاتحاد يكفي حدوث
التغيير في احدهما فقط الذي هُو محلّ الاتحاد كما هو الناسوت المتقنّم باقنوم
الابن والواقع عليه التغيير عمّا كان . لا في ثانيهما اي الحدّ الذي ينتهي اليه الاتحاد
كما هوَ الجوهر الالهي في اقنوم الابن الذي لبث عديم الغيار كما كان قبل التأنس .
لانه مبدأ عامّ عند الفلاسفة انّ الحدّ الذي ينتهي اليه الاتحاد لا يمكن حُدُوث
التغيير عليه في ذاته بتّةً

واما كون هذا التأنس هو موضوع قابل مِن جهة الانسان فهو ايضًا
ثابت وإن كانت الطبيعة البشرية وُجدت بعد التأنُّس خالية من اقنومها
البشريّ مقنّمة باقنوم الابن الواحد الالهيّ . فأي نعم ان الانسان حسب تعليم
جميع الفلاسفة هو مركّب من طبيعة واقنوم في جوهر واحد . ونحن بلا شك
نفهم الجوهر الوجودي على نوعين كما قرر رئيس الفلاسفة ارسطوطاليس اي
نفهمهُ بماهيّته ذاتًا وهذه هي طبيعته ثم نفهمهُ بوجه قيامه وهذا هو اقنومه . ويُحدّ
الاقنوم بانه قيامٌ او جوهرٌ روحي شخصي لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين وشأنه
ان يقيمها بذاتها ويحوزها عن الاشتراك كمالًا اخيرًا لجوهرها . وبالتالي انّ
الطبيعة البشريّة التي تأنس بها الابن كانت تستلزم اقنومها البشريّ الخاص بها
ولكن هذا انما هو مجراها طبيعيًا ولا بدّ منهُ كونيًا . غير انهُ لا جرمَ في انّ
بارئ الطبيعة ومكوّنها يستطيع باعجوبة سامية على الطبيعة ان يتخذ الجوهر
البشريّ بدون القنومية التي تكمّلتْ عن خارج فقط وان يسنده على اقنومهِ
الالهيّ مقيّمًا اياهُ بهِ فبفعل ذلك يكون حقًا اتخذ الطبيعة الانسانية تامّة جوهرًا
وذاتًا جاعلًا ان الاقنوم الالهيّ يسدّ مسدّ اقنومها البشري الذي يحدّها مكمِلًا

اياها خارجاً لا غير وهو غير الطبيعة كما ان صفة كيان الوجود (١ العرَضي هي التصاقه وقيامه بغيره . لانهُ ان كان الله (حسب ما هو مسلَّم من الجميع وكما قرَّرهُ رئيس الفلاسفة المذكور) يستطيع ان يسدّ بذاتهِ مسدّ كل سبب مخلوق فخلوًّا من ادنى إشكال يقدر ان يقيم طبيعةً باقنومٍ الهي حين تأهبها لأن تفوز بقيامها سنداً لها إمَّا من ذاتها وإمَّا من غيرها فاعلاً لها بهِ ما كانت تفعلهُ اقنوميتها . فصحّ اذاً انهُ ممكن وموضوع قابل من جهة الله ومن جهة الانسان تجسد الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس كما تمّ في شخص يسوع المسيح المولود من الاب ازليًّا باللاهوت ومن مريم البكر زمنيًّا بالناسوت

ثالثًا : فاذا تقرَّر ذلك اتَّضحت (٢ الغاية المُورَدَة في السؤال وحصَل الوفاء للعدل الالهي تماماً في الغاية والخلاص للطبيعة البشرية من الهلاك الابدي كما هو كلّي البيان من حيث ان اعمال المسيح الانسانية وُجدت فائزة باستحقاق وشرف الهيَّين لقيامهِ باقنومٍ الهي منزَّه عن اقنومٍ بشريّ . ومن ثمّ فعلٌ واحد من افعال تواضعهِ او تضرّعهِ او تألُّمهِ وُجد كافيًا لردّ الشرف والتعظيم والجلالة للعزَّة الالهيَّة عوضاً عمَّا كانت احتُقرت ربوبيَّتها بعصيان آدم وذريَّتهِ وذلك من قِبَل شرف هذا الاقنوم الالهيّ ومساواتهِ ذاتاً لله كما يفي ملكٌ لملكٍ او مساوٍ لمساوٍ ما يحقُّ لهُ تماماً

وفي هذا الشان اورد نموذجاً سبق غيري الى ايرادهِ وهو مثل الطُّعم في جنس الشجر اي اتحاد غصن غريب بشجرة تختلف عنهُ طبعًا فيعود معها شجرة واحدة . فبقياس التمثيل الطبيعة البشرية طُعِمَت باقنوم الكلمة الالهيّ باتحاده بها واضحَت معهُ شخصاً انسانيًا واحداً الذي هو المسيح . وكما ان الغصن المتطعِّم بالشجرة المتحد بها لا يتغيَّر عن طبيعتهِ مستحيلًا الى طبيعتها ولا يَعدَم شيئًا من صفاتهِ الذاتية طبعًا ولئن وُجد هو معها شجرةً واحدة هكذا الطبيعة

---

١) ويروى : الموجود
٢) في الاصل المطبوع « اضحت » وهو غلط

البشريَّة المتحدة مع الطبيعة الالهيَّة باقنوم الكلمة الازليّ لم تتغيَّر عن طبيعتها مستحيلةً الى الطبيعة الالهية بل لبثت على الدوام حافظة صفاتها الانسانية من دون استحالة او تغيير . فكما ان الغصن الاجنبيّ المتطعّم في احدى الاشجار يَعدَم مسنده الطبيعيّ الذي هو كانَ قائماً بهِ في شجرتهِ الاولى ويمتلكُ لذاتهِ مسندًا جديدًا بانتقالهِ الى اصل كان اجنبيًّا عنه . كذلك الطبيعة الانسانيَّة باتحادها بالاقنوم الثاني الالهيّ باينتْ مسندها الطبيعي اي الاقنوم الانسانيّ المعدّ لها حين تأهُّبها لقبوله طبيعيًّا واستندت على الذات الالهية القائمة باقنوم الكلمة عينه مُشاركةً الطبيعة الالهية في مسندها هذا الشريف . وهكذا من هاتين الطبيعتين الالهية والبشرية الكاملتين المتَّحدتين بلا انفصال ومن دون اختلاط وامتزاج وُجد المسيح واحدًا ذا اقنوم واحد . وكما ان الغصن المذكور ولو استمرَّت طبيعتهُ المسمَّى هو باسمها الاول متصفة بصفات الشجرة التي هو أُخذ منها فمع ذلك اثماره لا تُدعى اثمار شجرتهِ الاولى بل اثمار الشجرة الثانية التي هو غُرس فيها . كذلك الطبيعة الانسانية في المسيح فانها ولو استمرَّت حافظةً في الاقنوم الالهي صفاتها البشريَّة الطبيعية فمع ذلك افعالها قد دُعيت بالحصر لفظاً ومعنًى افعال ابن الله نفسهِ ( لانها شخصيَّة قنوميَّة ) ومن ثمَّ هي حاصلة على قيمة الافعال الالهية عينها . وهكذا لوحدة الاقنوم في المسيح تُطلق عليهِ حقًّا وصدقًا الصفات الالهية والبشريَّة معاً اي يصدُق عليهِ القول انهُ اله وانهُ انسان . انهُ ابن الله وانهُ ابنُ البشر . انهُ ازليّ وانهُ زمني . انهُ عديم ان يكون متألمًا او ميّتاً وانهُ قابل الآلام والموت . وقس عليهِ باقي الصفات الالهيَّة والبشريَّة بحيث يخال وجود التناقض فيها ولكن لا تناقض لانها تُحمَل على المسيح من حيثيَّتين لا من حيثيَّة واحدة اي من حيثيَّة انهُ اله ومن حيثية انهُ انسان لكونه اقنوماً واحدًا في طبيعتين تامَّتين مقيمتين بهِ وهذا كافٍ للاقناع بالحق والصواب

## السؤال العاشر

من حيث وجود الوحدة في الله كيف نزل الابن وما حصل تجزّئ في وحدة الله ؟

## الجواب

اقول اولًا : انهُ لو كان اعتقادنا نحن المسيحيين في الله انهُ متأيّن في أين دون غيره ليس مالئاً كلّ اين ٍ وفسحة وفضاء علوًّا وعمقًا وعرضًا واتساعًا من جميع الكائنات الوجوديّة والوهميّة وقلنا بعد ذلك ان احد اقانيمهِ تعالى الثلاثة نزل الينا لكان يوجد سبب للاعتراض ضدّنا بكيف انهُ ما حصل تجزّئ في وحدة الله الفرديّة الصمديّة . والحال اننـا نعتقد وجود الاله الواحد في كل مكان فاذًا لا موجب لهذا التجزّئ

ثانياً : من اعترافنا المتكرّر تقريره آنفًا (وهو ان الصفات الالهية الاضافية القنومية الثلاثة لا تتميّز اصلًا عن ذات اللاهوت بل ان كلًّا منها مع الجوهر الالهي واحد بوحدة ذاتية ولئن كان يوجد فيما بين احداها والاخرى تميز حقيقي بحسب الاضافات القنومية) ينتج صريحًا انهُ حيثما يوجد احد هذه الاقانيم الالهية فهناك هو الجوهر الالهي كاملًا . والحال ان هذه الذات القدسية الواحدة هي مالئة كل اين ففي كل أين تكون الاقانيم الالهية يوجد الجوهر الكليّ الكمال معها خلوًّا من افتراق او تجزّئ

ثالثًا : اننا نعني بقولنا « نزل » لا عن انتقال مكانيّ (والعوذ بالله من هذا الاعتقاد الكفريّ) بل فعـل التنازل نحو مذلّتنا وتعطُّف رحمتهِ بالاشفاق على الطبيعة البشرية ليجدّد كونها روحيًا بعد دثارها ويعالج جراحاتها بعد ان تماسّت ويقيمها من سقطتها عقيب وهادها نحو الدركات الجهنمية كما ان الهامة الانسانية وان تكن هي الراس في الجسم عاليةً فوقهُ فعند مداواة اصغر اصابع الرجل المبتلى بداء ما تنحني متطأطئةً وتتنازل منكبّة للاهتمام في علاجهِ

## السؤال الحادي عشر

حيث ان الله تعالى هو على ما هو عليهِ منذ الازل فانهُ يملأ السماء والارض وهما مملوءتان منهُ . وذلك زيادة عن ان نقول انهُ موجودٌ في كلّ مكان . فاذا قلنا نزل نوجب عليهِ الانحصار قبلًا فوق. وهذا غير مُدرَك حيث انهُ يضادّ الوجود العموميّ السابق ذكره وينافي وجوده في الارض قبل النزول

## الجواب

اقول اولًا : انهُ في جوابي عن السؤال المتقدّم اوضحتُ ما بهِ الكفاية بانهُ غريبٌ عن معتقدنا القول المذكور اذ لا نفهم بالنزول انتقالًا مكانيًّا لكن تنازلًا وانعطافًا نحو دناءة الجبلّة البشرية . فاذًا لا اعتراض علينا بذلك بعد اعتقادنا الصحيح الصريح واعترافنا المتين المبين بوحدة الذات الالهية وبانها مالئة كل الفسحات الوجودية والوهمية ايضًا . واذا وجدتَ في بعض اقوال ديانتنا عن الاقنوم الثاني انهُ نزل من السماء وتجسّد تحقّق انّنا لا نفهم بذلك سوى ما سبق شرحهُ عن فعل التنازل والتشفق الالهي على حقارة جنسنا

ثانيًا : نستعمل هذه الكلمات بمعنًى مجازيّ استعاريّ لانهُ ولو ان جميع المعتقدين بالاله الواحد الذي لا شريك لهُ يعترفون بهِ سبحانهُ وتعالى انهُ موجود في كل مكان فمع ذلك قد جرى تقرير عموميّ من افواههم ان الله هوَ في السماء لياقةً بجلاله وسجودًا لهُ من خليقتهِ في الارض حيث هو يعلوهم ارتفاعًا ويقبل سجودهم وعبادتهم

ثالثًا : بما انهُ مسلّم من الجميع انّ جرم الارض هو كُرَة في الفضاء وان الافلاك مستديرة حولها علوًّا ووطوًّا لا حدَّ لهُ وبالتالي ان الفضاء الذي يعلو كُرة الارض سموًّا هو نفسهُ تحت هذه الكرة وطوًّا فلهجُ الخلائق عنهُ عزَّ وجلّ انهُ ساكن السماء فوق الافلاك المستديرة هو أليق بهِ تعالى كما انّ القول عنهُ انهُ نزلَ من السماء هوَ أليقُ من ان يقال انهُ صعدَ من العمق

لان السماء هي مستديرة على الافـلاك حسبما تقدَّم القول وهي تحت الارض نظير ما هي فوقها . ومن ثمَّ القول عنهُ تعالى انهُ نزل من السماء ليس هو الَّا تقريباً لضعف مفهومية الآدميين واستخدامهِ مجازًا واستعارة لا حقيقةً (١

## السؤال الثاني عشر

من حيث انهُ ( اي الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ) حلّ في بطن مريم وتجسَّد من الروح القدس فكيف جرى ذلك من الروح القدس (لا كيفَ نظرًا لولادتهِ من بكر من دون زرع( . بل ما هو مَدْخل الروح القدس حيث هو نزل ؟. ليت شعري اما هو كاف لتمام المرغوب او كيف الحال ؟

## الجواب

اولًا : بانهُ لا ريب ولا اشكال اصلًا بانَّ الابن الاقنوم الثاني الحاصل على الذات الالهيـة يكفي وحدَهُ مع الآب والروح القدس لصنع هذه الاعجوبة السامية التى هي حلولهُ في بطن مريم البكر واتخاذهُ من دمائها الطبيعة الانسانية كاملةً مسندًا اياها على اقنومهِ الالهيّ ومقتنمًا اياها بهِ باتحادٍ حقيقي ولم يكن محتاجًا في ذلك الى مساعدٍ كما انهُ ما وُجد ولا يوجد احـد من المسيحيين معتقدًا بخلاف ذلك

ثانيًا : انَّ مدخل الروح القدس في هـذا العمل العظيم انما هوَ ليكون سرَّ افتداء الجنس البشري وخلاصه من الهـلاك مصنوعاً من الثلاثة الاقانيم الالهية ليس فقط نظرًا الى وحدتهم بالذات وبالارادة وبالحكمة وبالقدرة وبسائر

---

١ ) اما اذا اراد المعترض ان نزول ابن الله ألحق شيئًا من الانحطاط في ازليَّـة ابن الله فاجبناهُ ان ازليَّة الابن بقيت ثابتـةً دون تغيُّر كما لم تُمَسّ ازليَّة الله بسبب تكوينهِ للعالم في الزمان

الصفات المطلقة والمضافة بل ايضاً نظراً الى الافعال الخارجة من كلٍّ منهم بما يليق . فالاب بحسبما هو بمنزلة ينبوع اللاهوت ومبدأ الاقنومين الآخرين قد شاء خلاص الطبيعة الانسانية بواسطة تنازل ابنه وتجسده حسبما وضح من الغايتين الواردتين في الجواب على السؤال التاسع مريداً بارادة المسرَّة ان هذا الابن يمارس العمل المذكور . والابن بمطابقة الارادة الالهية الواحدة اقتبل صنيع هذه المنَّة العظيمة معتمداً تكميلها تماماً . وهكذا الروح القدس بوحدة المشيئة مع كليهما صنع الاعجوبة الفائقة الطبيعة بجَبلهِ بفعل قدرتهِ من دماء مريم البكر تلك الفطرة المقدسة مكوّناً اياها انساناً مهيَّأً لقبول الاستناد على اقنوم الكلمة الازليّ الذي حالّاً اتحدَ بهِ وقنَّمهُ باقنومهِ الالهي . وعلى هذه الصورة الثالوث الاقدس بفردية الارادة ووحدة المشيئة اشترك بعمل خلاص البشر

ثالثاً : لانهُ لا اشكال في ان المعجزات والعجائب الفائقة الطبيعة تصنع من الله بفعل ارادة خصوصية صادرة عن جودتهِ ورحمتهِ بمحبة عطوفة نحو من يكون صنيع المعجزات من اجلهِ . ومن حيث ان الروح القدس يصدر من الاب والابن بفعل الارادة وتردّد الحبّ بينهما بعواطف كانها هيجان المحبة فمن ثم مناسبةً لذلك تخصَّصت بالصواب افعال المعجزات والجرايح والنعم والمواهب بهذا الروح القدس اذ تفاضُ منهُ على الخلائق كأنها بفيضان الحب والانعطاف الصادر عن الارادة الواحدة والذات الالهية الواحدة . والحال ان تجسُّد الابن من مريم البكر هو من اعظم العجائب السامية وهو اخصّ افعال الرحمة الالهية واسمى (١ عواطف حبّ الله نحو خليقتهِ الناطقة فاذاً بالصواب والحقّ يعتقد المسيحيون بأن فعل تكوين الجنين في احشاء مريم البكر بالنوع العجيب الذي تمَّ بها انما هو فعل الروح القدس (٢

١) ويروى : اثر

٢) خلاصة القول ان تأنُّس ابن الله من حيث هو تأثير حاصل في الخارج للطبيعة البشرية بتقنُّمهِ قد تمّ بفعل الاقانيم الثلثة اما من حيث هو اتخاذ تلك الطبيعة والاتحاد بها فهو مختص بالاقنوم الثاني دون الاقنومين الاخرين

## السؤال الثالث عشر

ان النفس الناطقة التي اخذها ( الاقنوم الثاني في تجسده ) هل هي مخلوقة وكيف وُجدت ؟

## الجواب

اقول اولًا : ان النفس الناطقة التي اخذها ابن الله في تأنسهِ هي مخلوقة بلا ريب من العدم الى الوجود نظير خلقة سائر الانفس البشرية . لانهُ كما ان الانسان التامّ هو ضرورة مركَّبٌ من نفس ناطقة وجسد حيواني اذ من المحال ان يوجد انسان كاملٌ ولا يكون هكذا فبالضرورة كما تكوَّن ناسوت المسيح من دماء مريم البكر خُلقةً كذلك خُلقت النفس بفعل الروح القدس (١ عينهِ مكوِّن الجسد وقد تكوَّنت النفس الناطقة لتمام ناسوت المسيح صائرة صورةً لجسدهِ كباقي الناس

ثانيًا : ان هذه النفس الناطقة باختصاصٍ سامٍ خلقها الروح القدس من العدم الى الوجود بريئة من جريرة آدم غير مدنسة باثم العصيان وبهذا تتميَّز عن انفس البشر التي جميعها تخلق مشوَّهة (٢ بجريرة آدم ابي الطبيعة البشرية ووكيلها (٣ لانهُ لمن المستحيل ان الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس يتَّحد بتجسده معَ نفسٍ اثيمة بوصمة الخطيئة مكروهةٍ من العزَّة الالهية حاصلةٍ تحت حكم الهلاك الابديّ . معاذ الله من هذا التجديف (٤

---

١) راجع حاشية الصفحة السابقة

٢) في الاصل : مشابهة وهو تصحيف

٣) قول المؤلف ان جميع انفس البشر تخلق مشوَّهة بجريرة آدم لا يتناول مريم العذراء التي حُبل بها بريئة من الخطيئة الاصلية بنعمة خاصة . نظرًا لرتبتها السامية ولاستحقاقات ابنها الالهي التي سبق المسيح وافاضها عليها

٤) وزد عليهِ سببًا آخر اشار اليهِ القديس توما اللاهوتي وهو انَّ وصمة آدم

ثالثاً : ان هذه النفس الناطقة عينهـا هي التي بموت المسيح انفصلت عن جسده كما يحـدث لسائر البشر وهي التي في ثالث يوم من موتهِ رجعت الى جسده بقدرة اللاهوت متّحدة بهِ اتحاداً مؤبدًا كما هو الآن المسيح الحيّ الى الابد في مجده السرمدي

## السؤال الرابع عشر

كيف انحصر ( الكلمة المتجسدة ) مدّة الحبل ماكثاً في بطن مريم البتول مع انهُ عديم الانحصار ولا يسعهُ الفضاء ؟

## الجواب

اجيب اولًا : بانهُ لو كنّا نحن النصارى نعتقدُ بان اللاهوت قد انحصر ماكثاً في احشاء مريم البكر لكان يسوغ ان نُسأل عن كيفية الامر والحال ان هذا يضادّ ليس لاعتقادنا فقط بل لنور العقل وللروئية البشرية ايضاً . وبالتالي هذا القول غريب مطلقاً عن اقوالنا وافكارنا فضلًا عن عقائدنا

ثانياً : انَّ الناسوت فقط في المسيح ( اي جسمهُ البشريّ ونفسه الناطقة صورة الجسم ) هو وحده الذي انحصر ليس فقط في بطن مريم العذراء والدتهِ مدة الحبل بل ايضاً في كل أينٍ وُجد هو فيهِ زمن حياتهِ على الارض وبعـد موته في القبر وبعد قيامهِ وصعوده الى السماء وفي دوامهِ الى الابد . لان هذا الناسوت ولئن تقنّم باقنوم الكلمة الالهي وفاز بهذا الشرف العديم المثيل على الاطلاق فمع ذلك لبث كما هو ماديًّا منحصرًا في أين دون غيره

ثالثاً : واما اقنومه الالهي ( كما تقدم القول مرارًا ) فغير متميّز من الذات

---

تلحق بذريّتهِ بالتناسل الطبيعي فقط اماَّ السيد المسيح فكان من ذريّة آدم على سبيل التناسل الفائق الطبيعة اذ لم تفقد والدته الطاهرة بتوليتها لمَّا حُبل بهِ في بطنها من الروح القدس

الالهية وهذه الذات القدوسة هي عديمة الانحصار ومثلها القنومية ايضاً هي عديمة الانحصار . وقد تبرهن آنفاً ان الناسوت في المسيح استنـدَ على اقنوم الكلمة وتقنَّم بهِ لعدم حصوله على الاقنوم البشريّ كالغصن الفاقد مسنده في شجرتهِ متطعّماً في شجرة اخرى ممتلكاً فيهـا قيامه . فاذاً الناسوت باستناده على اللاهوت وتقنمهِ باقنوم الكلمة لبث هو وحده منحصراً من دون ان يقع لا على اللاهوت ولا على اقنومه الالهي انحصارٌ ما ليس فقط لعدم قابليتهما للانحصار ولعدم مقدرتهما على قبول ذلك لا طبيعياً ولا بنوعٍ فائق الطبيعة بل ايضاً لعدم الاحتياج اليـهِ بوجه من الوجود بتةً . كما انّ الغصن المتطعِّم في الشجرة الاجنبية عنـهُ ذاتاً لا امكان فيهِ ولا احتياج لهُ لتغييرها وضعاً اوانياً او اصلاً او كيفيةً ولا لحصرها فيهِ وعليهِ هو وحده يمنعها عن احتوائها على اغصان عديدة وهذا الجواب يفيد ايضاً السؤال الآتي (١

## السؤال الخامس عشر

أعلى الابن فقط صار هـذا الانحصار ؟ وان قلت ما انحصر حق ولا الابن فيقتضي البرهان المقنع للعقل النطقي

## الجواب

اجيب اوَّلاً : اوردتُ في الجواب المتقـدم عدم الانحصار على الابن لا

١) خلاصة الجواب ان الذات الالهيَّة لم تنحصر في احشاء العذراء وانمـا المنحصر هو الاقنوم الثاني من الثالوث وانحصارهُ هذا ليس من حيث هو اله او قائم بذات الهيّة ولكن من حيث هو متّحد بطبيعة بشريّة مخلوقة . وعلى هـذا المثال لحق الموت على الصليب بابن الله ليس منِ حيث هو الله بل من حيث هو انسان . وهذا ممَّا لا يُلحق تناقصاً بالاقنوم الالهي لانَّ المنحصر والمائت هو ابن الله الذي انحصر ومات بطبيعتهِ البشريَّة لا بطبيعتهِ الالهيَّة

لاهوتاً ولا اقنوماً وبيَّنتُ كيف الانحصار قد حدث على الناسوت فقط المتقنّم به

ثانياً : انهُ ليس برهان واحد بل براهين كثيرة ومختلفة تقدَّمت في اجوبتي المدوَّنة لحدّ هاهنا وهي تؤيد عدم الانحصار والانتقال في الذات الالهية وفي اقانيمها الثلاثة لا اجمالاً ولا افراداً . وقد تحقق عدم تميز هذه الاقانيم عن الجوهر الالهي فما الذي يُقتضى ايراده اكثر للاقناع ؟

ثالثاً : ان كانت الفلاسفة مع إمامهم اعتقدوا وعلّموا بان الله يستطيع ان يسدَّ بذاتهِ مسدَّ كل سبب مخلوق فكيف يقال انهم فكَّروا فضلاً عن انهم اوجبوا انحصاراً ما عليهِ عزَّ وجلّ لكونه يفعل ذلك . فاذاً ان كان الاقنوم الثاني باتخاذهِ الناسوت وباتحادهِ بهِ انما سنده على اقنومه الالهي وقنّمه بهِ وبذلك سدَّ مسدّ الاقنوم البشريّ فايّ انحصارٍ بهذا وقع على ذاته او على اقنومه ؟ فتلك العزَّة السامية الجلال التي تسند الكائنات كلها وتعطيها الحركة بعد الوجود وتحفظها دائماً من الابادة كيف لا تستمرّ ( تقدَّست بساطتها ) عديمة الانحصار لاجل اسنادها انساناً واحداً متحداً باحد اقانيمها ومتقنماً بهِ . فالمرء اذن بالصواب يلزمهُ الاقناع التامّ بما تقرَّر اذ لا وجه لهُ بعدُ للارتياب

## السؤال السادس عشر

كيف الحكم على العزة الالهية في احتمال الذلّ والهوان مع انّ الله نظراً الى جوهره وقوَّتهِ الموجودة فيهِ ازليّاً هو عاجز عن ان يفعل ما يوجب اهانتهُ لان الشيء المستحيل والغير الممكن لا يقبلهُ العقل فلا يمكننا ان نقول مثلاً ان النار تطفئ الماء بل بعكسهِ . وان قلتَ انهُ حصل الهوان على الجسم الانساني المأخوذ من مريم البتول اجبتُكَ بانهُ حيث وجود جوهر الكلمة مع الجسد طبعاً فلا يقبل الهوان كما تقدَّم

## الجواب

اقول اولًا : انهُ يلزمنا ان نفهم ارادة الله على نوعين كما فهمها الفلاسفة وهما ارادة السرور وارادة السماح . مثال ذلك انَّ الله تعالى خلق آدم بارادة السرور ولكن بارادة السماح لم يمنعهُ عن فعل العصيان . فنحن نسلّم بان الله عاجز عن ان يفعل ما يوجب اهانته بارادة الرضا والمسرّة وبفعل خاصّ من قبلهِ . ولكن ننكر بانهُ تعالى عاجز عن ذلك بارادة السماح وبفعل غير خاصّ من قبلهِ بل من علل أُخر ثوَانٍ . على انهُ امر عديم الرَّيب هو انهُ لا يستطيع احدٌ من دون العون الالهي العمومي ان يتكلّم او يمارس فعلًا ما من الافعال مطلقًا . والحال ان اقوالًا وافعالًا كثيرة فائقة الاحصاء حدثت وتحدث يوميًا من المآثم والخطايا ضد الناموس الالهي الطبيعي والوضعي تحتوي اهانةً في حق الجلال الالهي . وهذه نفسها خلوًّا من العَوْن الالهي لا يمكن ان تتمّ . فاذًا بسماح الله وبعلل أُخر ثوانٍ لا بفعل خاصّ من قبلهِ تعالى يحدث الهوان في حقّ العزة الالهية وهي تحتملهُ بطول اناة رحمةً وصبرًا الى يوم الدين حينما العدلُ الالهي يمارس الانتقام

ثانيًا : شيءٌ هو ايصال الهوان للعزّة الالهية ذاتًا او ان يفعل حقًّا ما بهِ تهاوُن ذاتهِ وشيءٌ آخر هو حدوث الاهانة عرَضًا واتصالها الى العزّة الالهية عرَضيًا بارادة السماح والاهمال منهُ تعالى . فانَّ الشيء الاوّل هو غير ممكن بل يعجز الله عن فعله لانهُ مضادّ لصلاحهِ وكمالهِ المُطلق خلافًا للشيء الثاني فانهُ يلتحق بهِ تعالى عرَضًا اي من قبل افعال الطبيعة العاقلة بمخالفتها المراسيم الالهية والاستقامة الواجبة . لان الافتراء مثلًا على ملك بمخالفة شريعة الاحترام لعزّتهِ الملوكية واحتمال هذا الهوان منهُ ولئن كان آتيًا بواسطة احساناتهِ الى المفتري لا يمكن القول عنه انّه هو علّة هذه الاهانة او فاعلها لذاتهِ كما انّه لا يسوغ القول ان الاهانة التحقت بالعزّة الملوكية ذاتًا بل عرضًا . فعلى هذه الاقيسة

والبراهين كذلك لا يجوز القول بانّ العزّة الالهية أهينت ذاتًا وباطنًا[١] وجوهريًا بما أُهين به ناسوتُ المسيح المتقنّم بالاقنوم الثاني ولا انّ الله هو الفاعل لهذه الاهانة باحتماله اياها اذ سمح بحدوثها بالاهمال صادرةً من سوء ارادة البشر . وبالتالي لا يوجد في ذلك تناقض كقولك انّ النار تطفئُ الماء

ثالثًا : لقد تقدم التقريرُ في الجواب على السوال التاسع عن الغايتين اللّتين من اجلهما صار التجسد الالهي وعن امكانيتهما وجودتهما ولياقتهما ومن ثم انهُ لم يكن ضروريًا للمسيح كلمة الله ان يهانَ لكي يقدر ان يفتدي البشريّة ويخلصها من الهلاك بل ولم يكن هـذا مقصودًا مِن الارادة الالهيّة لانه كان يكفي لعمل هذا الافتداء والخلاص ان يقدّم المسيح تضرّعًا واحـدًا ظاهرًا او باطنًا لله ابيه من اجلِ ذلك . فخلوًا من كل ريب انّ فعل هذا التواضع اي التضرُّع مِن انسان هو إله معًا متقنّم بأقنوم إلهيّ متَّحد بذات اللاهوت هُو ذو قيمة معادلة لله كليّ الكفاءة للوفاء عن خطايا العالم اجمع بل عن خطايا الوف عوالم

فاذًا يجب القول انّ جميع الاهانات التي حدثت للمسيح بحسبما هو انسان ولحقت ايضًا بحقّ جلالهِ بحسبما هو اله فهذه (اولًا) ليست مفعولة من قبل الله بأرادةِ الرضا والمسرَّة . (ثانيًا) قد التحقت بحقّهِ عرضًا لا ذاتًا . (ثالثًا) هي مصنوعة من البشر سماحًا بسيطًا من قبلِ الله بطول اناة . (رابعًا) لم تكن ضرورية لافتداء البشر ولا مقصودة في غايتَي التجسد الالهي لان الخلاص كان يمكن ان يتمّ بدونها . (خامسًا) انما قد كملت بسوء ارادة البشر نظير سائر الخطايا التي تحدث ضد الجلال الالهي من حيث ان الله اعطى الارادة البشريَّة حريّتها واستطاعتها على عمل الخير والشرّ باختيار عديم الانثلام حتى ان فعل الخير يكون اختياريًا لا اضطراريًا ومن هذا القبيل يكون موضوعًا للثّواب والمكافأة في هذه الحياة وفي الحيـاة الابدية . ومثلهُ اذا حدث الشرّ يكون عن حريَّة

(١ في الاصل المطبوع « باطلًا » وهو تصحيف

الارادة خاليًا من الاجبار كرهًا ومن هذه الحيثية يستحقّ العقاب عـدلًا في الحياتين (١

## السؤال السابع عشر

كيف مكث المسيح في القبر وهل في هذه البرهـة تخلّى الجوهر من الجبلّة او دُفن معها ؟

## الجواب

اجيب اولًا : نفس المسيح افترقت من جسده بالموت الطبيعي الذي تمّ بارادته الالهية وبالارادة الانسانية الخاضعة لها تمامًا لا كأن المسيح وُجد تحت حكومة الموت نظير آدم وذريّته عقابًا عن عصيانهم على امر الله ولا لانّ هذا الموت كانَ ضروريًا لاجل خلاص العالم كما ابنتُ في الجواب المتقدّم بل لانهُ شاء هو ذلك لغاياتٍ يعلمها . فحينئذٍ دُفن جسده الطاهر في القبر كسائر الناس وقبل نهـاية ثلاثة ايام من موته قد ردّ لاهوتُهُ نفسَهُ الناطقـة الى جسدهِ وانهضهُ من الموت الى الحياة السعيدة السرمدية . وبعـد ان ظهر بناسوته عينهِ لرسله وتلاميذه وغيرهم مرّات عديدة في مدة اربعين يومًا مثبتًا على هـذه الصورة حقيقة قيامته صعد بناسوته الى السماء او بالاحرى الى المحلّ الذي فيهِ يقتبل المجد المحقّ لهُ ذاتًا وعرَضًا من البرايا الناطقـة اي من الملائكة ومن انفس

---

(١) خلاصة الجواب انّ الهوان في صلب المسيح وآلامهِ لم يلحق بالجوهر الالهي ولكن بالجوهر الانساني ولحق الاقنوم الالهي من حيث هو متجسد . امّا كون اهانة الجوهر الانساني لا توجب لحوق الهوان بالجوهر الالهي فـلأنّ كلًّا منهما ممتاز عن الآخر مع اتحـادهما بلا انفصال . ثم ان ابن الله لم يُهِنْ ذاتهُ ولكن احتمل الهوان بصبر واناة وبذلك مجّد الله وكفّر عن آثامنا . اخيرًا لم يفعل مـا يوجب اهانة اليهود لهُ لأنّ تأنسهُ لم يفقدهم حريتهم ولم يضطرّهم الى اهانتهِ ولا كان علّة موجبة لها

الصالحين مداوماً التمتُّع بسعادة لاهوتِهِ الازليّ والابديّ التي اشترك بها ناسوته المتقنّم باقنومه الالهي

ثانياً : ان ما اتخذه الكلمة لم يفارقهُ قطّ كما ان هذا المأخوذ لم يعُد ينفصل عنهُ اصلاً لانهُ اتحد بهِ اتحاداً حقيقياً تاماً من كل جهاتهِ . ومحلّ الاتحاد اي الطبيعة البشرية قد تقنَّمت بهِ فصار مسنداً وحيداً لها بارتباط طبيعي كامل عديم الافتراق نظراً الى جوهرَيها المركَّبة هي منهما اي جوهر النفس وجوهر الجسد . ولهذا لا يجوز القول بانَّ في تلك البرهة التي فيها لبث الجسد مدفوناً في ضريحهِ ولا قبلاً منذ دقيقة التجسُّد الى البرهة المذكورة ولا بعداً تخلَّى الجوهر عن الجبلّة او تخلَّت هي عنهُ . بل لا يمكن خلوّ احدهما عن الاخر مؤبداً . وبالتالي ان الاقنوم الثاني الالهيّ الغير المنفصل عن الذات الواجبة الوجود والغير المتميز عنها تميزاً حقيقياً قد وجد في تلك البرهة مع جسد المسيح في القبر ومع نفس المسيح اينما كانت في مدة انفصالها من جسدها ولم تحصل بينهما وبين اقنومه الالهي وذات الجوهر الواحد المشاع للثلاثة الاقانيم مفارقة وانفصال بتّة ولا بوجه من الوجوه اصلاً

ثالثاً : اميّز القول المورد في السؤال اي ان الجوهر دُفن مع الجبلّة . فان فُهم بمعنى المرافقة لحال الاتحاد العديم الانحلال فيما بين الطبيعتين الالهية والانسانية فمسلَّم بهِ . ولكن ان فُهم بمعنى الانحصار على الجوهر الالهي فانكره . لانهُ محال والقول بهِ كفرٌ اذ انهُ لا الذات الالهية الواحدة ولا اقانيمها الثلاثة الغير المتميزة عنها تستطيع ان تنحصر في أين (١ او ان تقع عليها المقادير او ان تخلو من مكان بل يصدق القول ان وجود الكائنات فيها احرى من وجودها في الكائنات . كالاسفنجة في البحرَ فالقول انها في البحر احرى من القول بوجود ماء البحر ضمنها نافذاً اياها من كل جهاتها وهي موعبة منهُ (٢ . وبالتالي انَّ النوع الذي

١) ولكن هذا لا ينفي القول بان الاقنوم الالهيّ الثاني انحصر في القبر من حيث هو متجسّد لان اللاهوت لم يفارق الجسد ولا النفس بعد انفصالها بالموت الطبيعي

٢) قد سقط هنا في الاصل المطبوع بعض الفاظ اعدناها عن النسخ المخطوطة

بِهِ وجد الكلمة الازلية بلاهوتهِ ( الواحد مع الاب والروح القدس ) واقنومه البنوي بعد تأنسهِ مع جسد المسيح ونفسه بالاتحاد القنومي الواحد الحقيقي خلواً من اختلاط الطبيعتين الالهية والانسانية في بطن مريم العذراء وفي مدة حياته على الارض ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وفي الازمنة الأخرى بعد قيامتهِ من الموت هو النوع عينهُ الذي وجد به الكلمة الازلية في تلك البرهة نفسها التي فيها كان جسده موضوعاً في القبر ونفسه الناطقة منفصلة عنهُ وهكذا وجد هو في القبر مع الجسد (١ وفي المقرّات الاخر مع الروح وفي السماء مسكن الابرار وعلى كرسي المجد مع الاب والروح القدس وفي وقت واحد لانهُ هو عديم ان يكون محصوراً

## السؤال الثامن عشر

تُرى بعد صعود الابن بالجسد الى السماء هل بقي الجوهر متحداً مع الجسد اتحاداً كاملاً ومتّحداً مع الاب والروح القدس اتحاداً كاملاً كما كان قبلاً من دون نقصان نظراً لحدوث اتحادهِ مع الجسد الذي ما كان قبل التجسُّد؟

## الجواب

اجيب اولاً : كما اجبتُ آنفاً اي انّ ما اتخذه الكلمة لم يفارقهُ قط لانهُ محال (٢ ان يُهدَم هذا الاتحاد الطبيعي القنومي الذي بفعل هكذا سامٍ قد تمّ بمسرّة الاب ومشيئتهِ الخصوصية بهِ وبتجسُّد الابن واتخاذه لذاتهِ الانسانية وتقنُّمهِ بها مسنداً اياها على ذاتهِ واقنومهِ الخاص وبفعل الروح القدس مكوّن هذا التكوين العجيب في احشاء مريم البكر فائقاً على الطبيعة . لانهُ

١) في النسخة المطبوعة « مع الاب » وهو غلط

٢) انمّا ذلك من المحالات المقيدة لا المحالات المطلقة لأنّ انفصال الطبيعة البشريّة عن اقنوم الابن وان كان ممكناً بذاتهِ لا تسمح بهِ ارادة الله تعالى التي لا تشاء بأن يُسلب المسيح حقاً من حقوقهِ كاتحاد اقنوم الابن بالطبيعة البشريّة

لو لم يبقَ الجوهر الالهي متحداً مع الناسوت في المسيح لكان يحدث انحلال هذا الاتحاد امّا بتلاشي نفس المسيح وجسده تلاشياً مطلقاً بردّهما الى العدم وهذا يضاد صلاح الله ويناقض عملهُ الدائم في الطبيعة البشرية التي حفظ ويحفظ افراد نفوسها حيّةً الى الأبد وافراد اجسادها دوام دفنها في الارض الى يوم البعث ودوامها السرمديّ بعد البعث والنشور حين القيامة العامة . وامّا بفصل ناسوت المسيح عن لاهوته واسناد الناسوت بمسند جديد اي بان يخلق له وقتئذٍ اقنوماً بشريًا مقيماً اياهُ به وهذا يضاد الكمال الالهي ويناقض جلال ذاته اذ يهين اهانة لا تُحدّ ذاك الناسوت الذي تقدّم مرة بالأقنوم الالهيّ وارتفع الى سُمو مقام العزة الكلية الكمال بهبوطه الى اعماق الذلّ والهوان تجلّى الله عن التضادّ والتناقض

ثانياً : انهُ لا ريب ولا اشكال في انَّ اتحاد الكلمة الازليّ مع الناسوت في المسيح لبث اتحاداً كاملًا خلوًا من نقصان بعد صعوده بالجسد الى السماء كما كان في جوف مريم البتول وفي زمن حياتهِ الجسدية على الارض وفي برهة موتهِ وفي مدة الاربعين يوماً التي مكث بها على الارض قبل ارتفاعهِ بالجسد الى سدّة المجد السماوي . لانهُ ليس فقط لا توجد علّةٌ ما توجب نقص هذا الاتحاد بكيانهِ في السماء عمّا كان هو بهِ على الارض بل يُضادّ هذا النقصان ايضاً الكمالَ الالهيّ اذ يستردّ تعالى ما وهبهُ . ويضادّ الترتيب اللائق بعدلهِ وهو انهُ في الحياة الفضلى المجيدة الابدية التي بها يزيد مجد مختاريهِ بما لا يُحدّ مجازاةً لاعمالهم الصالحة عمّا هم كانوا بهِ على الارض فبالضدّ ينقص عن المسيح في السماء ذاك الشرف العظيم الذي كان لهُ على الارض . اي انهُ فيها يوجد هو متحداً باقنوم الكلمة وبالذات الالهية اتحاداً كاملًا وبعد ذلك وهو في سماء المجد والمكافأة عن اعمالهِ ينقصُ عنهُ كمال الاتحاد . لا بل ان هذا يهين العزّةَ الالهية في اقنوم الكلمة بتنقيص كرامتهِ وهو امر عديم الامكان

ثالثاً : لانهُ ان كان تجسُّد ابن الله ممكناً ولائقاً بالنسبة الى الذات الالهية وبالنسبة الى الطبيعة البشرية ولم يوجد في ذلك مانع ضدّي كما برهنتُ في

محلّهِ . فيثبت بالتالي انهُ بعد حلول الكلمة في احشاء مريم العذراء متأنساً منها وفي زمن بقائهِ في هذا العالم لم يحصل للكلمة الازليّ نقصانٌ لكنّهُ استمرّ مالكاً مع الاب والروح القدس لاهوتاً واحداً وذاتاً واحدةً كما دام ايضاً اقنومه الابنيّ غير مُتميز عن الجوهر الالهي تميزاً حقيقياً ولم يلبث فائزاً بجميع الصفات الالهية المطلقة والمضافة كما كان قبلاً نظراً لحدوث اتحادهِ مع الجسد الذي ما كان قبل التجسّد . فمن البيّن واللازم والضروري مطلقاً ان يستمرّ اتحاد الابن الاقنوم الثاني مع الآب والروح القدس اتحاداً كاملاً بعد تجسده كما كان قبلهُ بدون نقصان وبعد صعوده بالجسد الى السماء كما كان على الارض خلواً من نقص ما اصلاً (١



## الخاتمة

ولتكن ها هنا نهاية اجوبتي الحاضرة عن السؤالات المتقدم ايرادها . وقد استعملتُ الايجاز الغير المخلّ . هرباً من الاسهاب المملّ . واتممتُ ارادة السائل في عدولي عن اسناد اقوالي الى شهادات الكتب الالهية مع انها هي السند الاخصّ الامكن . والعماد الاجلّ الاركن . لما نعتقدهُ عن الله واعماله . من صدق شهادة اقواله . لانهُ عديم الخلل فيما اوحاه . وكلّي الصدق بما انباه . وهو فاقد ان يَغشّ فيما يُعلن . او يُغشّ عمّن لهُ يكمن . واذ ذاك فلي امل

١) انّ اتحاد الاب والابن والروح القدس انما هو في الجوهر الالهيّ . ولكن لتميزهم بالاقانيم ليس من الواجب ان تتحد تلك الاقانيم الثلاثة بالطبيعة الانسانية التي اتحد بها الابن وحدهُ

بالصواب . خال ٍ من الارتياب . في ان الرجل المسلم الجليل . والعالم الفقيه النبيل . بعد وقوفهِ على اجوبتي هذه الوجيزة المعاني . البعيدة عن صنعة الفصاحة وشقشقة اللسان بالشرح والمثاني . وغير معدودة فيما بين التأليفات الحسان . كوني لستُ من رجال هذا الميدان . ان يرفع هوَ وامثاله الظنّ عنّا نحنُ النصارى اننا من المُشركين . او مِنْ ذوي الضلال المبين . اذا اننا نعبد للواجب الوجود ونحدُهُ تعالى واحدًا في الجوهر فردًا في الذات حدًا لا ندّ له ولا شريك ولا شبيه في الصفات ابدًا رُوحًا بسيطًا نزيهًا عن التأليف والأجزاء المادّية . مالكًا جميع الأمكنة والفُسَح الوُجودية والوهمية . عاقلًا فريدًا فاعلًا مخصبًا نزيهًا عن بداية ونهـاية . مُصدرًا معقوله محبًا صُورته الجوهرية محبوبًا منها مفيضاً معها بهيجان الحبّ عن الارادة روحَـهُ القدوس ذاتًا لا كناية . ولذلك هو مثلَّث الصفات القنوميَّة . مع الخواص الاضافية . المتحدة بجوهره الواحد بلا تمييز . نظير باقي صفاتهِ المطلقة العديمة التحييز . مسمّى لقبًا ابًا وابنًا وروحًا قدوسًا ثلاثة اقانيم في إلهٍ واحدٍ . كلٌّ منهما يمتاز عن الآخر ضرورةً واضافةً خلوًا من امتيازهم عن الجوهر الوحيد الماجد . كالنفس وعقلها وارادتها . وكالشمس وشعاعها وحرارتها . ثم نعتقـد بما وجد ممكنًا ولائقًا من جانب الله ومن جانب الانسان . اي بتجسد الاقنوم الثاني متخذًا طبيعتنـا البشريَّة بذاتهِ الالهية . قائمًا من طبيعتين وفي طبيعتين الهية وانسانية . باقنوم واحد خلوًا من اختلاطٍ وانعجان . وبهذا التنازل الخـالي من انتقال المكان . خلّصَ آدم وذرّيتهُ من الهلاك المؤبد . بما بهِ اظهر جوده ورحمتهُ واستوفى عدله المجرّد . عن الاثم والاهانة في حقه بتدبير ممجّـد . وهذا وذاك لم يوصلا لا للّاهوت زيادة عن الوحدّية . ولا للذات انقسامًا فيها عن الفرديَّة . ولا للثالوث نقصـانًا او اضافةً الى ما هو عليهِ . ولا هوانًا او عدم لياقة منسوبًا اليهِ . ولا للجواهر اختلاطًا او امتزاجًا مع الانسانية في المسيح . ولا انحصارًا للاهوت او تألمًا ذاتيًا للبشريّة . بَل اتحادًا حقيقيًا بباقي الأقانيم الالهية . ولا آلامًا وموتًا للبريء مِنَ الهيولى والعديم الموت . بل تألمًا ووفاة في المسيح بالناسوت . فأين اذا

عقيدة الإشراك الكفرية الغريبة عن اعتقاد النصارى الصحيح . واين الضلال المنسوبُ لهم خلوًّا من برهان وضيح . فاقبلْ مني ايها العلّامة هذا الجواب وتحقق احترامي اياك بكل وقار وآداب . فيما اسأل الله ان يحفظك سالماً . وفي الحقائق كلها باليقين عالماً

( تمّ )

— حاشية — لا نعلم ماذا اجاب المسلم الفقيه غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم عند قراءته هذه الرسالة أرضيَ بالاجوبة على سؤالاته ام لا ولكنّنا نعلم ان كثيرين من ادباء المسلمين لمّا اطلعناهم على هذا الكتاب استحسنوهُ واقرّوا انهم لم يتصوّروا معتقدات النصارى على هذا المنوال وتمنّوا لو يُطبع فينتشر بين العموم ازالة لسوء التفاهم . فهذا ما حملنا على نشرهِ

---

جاء في آخر النسخة المطبوعة في مصر ما نصّهُ : « قد تمَّ طبع هذا الكتاب الجليل المستحق للاكرام والتبجيل في يوم الاربعاء المبارك الواقع رابع يوم من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٧ مسيحيَّة بمحروسة مصر القاهرة بسعي ونفقــة الخوري اغوسطينوس فتّال الراهب القانوني الحلبي قاصداً بذلك منفعة الراغبين متوسلاً الى الله ان ينفع بهِ طالبيهِ انهُ اكرم مسئول واعظم مأمول »



## خلاصة معتقد النصارى

لبولس الراهب الاسقف الملكي من كتبة القرن الثالث عشر

# في التوحيد والاتحاد

( نقلًا عن مجلة المشرق )

رسالة لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي لمَّا ان سأَلهُ الشيخ ابو السرور التنيسي الرقَّام (١ ان يشرح لهُ شرحًا مختصرًا رأيَ (٢ النصارى في التوحيد والاتحاد

« اما بعدُ فانَّا نحن معشر النصارى نعتقد في الله تقدَّست اسماؤهُ وجلّت آلاؤُهُ انهُ واحدٌ بالذات مثلَّث بالصفات (٣ التي نسمّيها ابًا وابنًا روحًا قدسًا. نريد بذلك تصحيح القول انهُ تعالى شيءٌ حيٌّ ناطقٌ فالشيء الذي هوَ عندنا الذاتُ هو الآب (٤ والنطق هو الابن والحياة الروح القدس والثلاث الصفات هي الاله الواحد الذي لا يتبعَّض ولا يتجزَّأ. فلا هو ثلثةٌ بمعنى ما هو واحدٌ وليس هو ثلثَ ذواتٍ بل هو ذاتٌ واحدةٌ ولا هو واحدٌ بمعنى ما هو ثلثةٌ اي ليس هو صفةً واحدةً بل ثلثَ صفاتٍ . وقد نرى الشمس المخلوقة توصف بثلث صفاتٍ جوهريَّاتٍ لا مستعاراتٍ فيقال قرصُ الشمس وضوء الشمس

١) لم نطَّلع على شيء من اخبار ابي السرور هذا . وفي نسخة يدعى ابا السرقاء التليني ويروى : التيبسي

٢) ويروى : في رأي

٣) اعلم انَّ في الله عزَّ وجلَّ نوعين من الصفات منها كماليَّة كالقدرة والعلم والقداسة الخ . وهذه الصفات مشتركة بين الاقانيم الثلاثة . ومنها شخصيَّة واضافيَّة وهي نسبة الاقانيم الى بعضها كنسبة الابِ الى الابن ونسبة كليهما الى الروح القدس وهذه النسب لا تشترك بين الاقانيم الثلاثة ومنها تتوقَّف الاقانيم وهي صفات جوهرية قائمة بذاتها

٤) يريد ان الذات الالهية اي طبيعتهُ تعالى كلها في الاب

وسخونة الشمس . وكلُّ صفةٍ من ( الثلث ) الصفـات حافظةٌ لخاصَّتها بلا اختلاطٍ ولا تفريقٍ ولا تبعيضٍ ولا تجزّئٍ . فالقرص والدٌ للضوء والضوء مولودٌ من القرص والسخونة منبعثة من القرص مستقرَّةٌ في الضوء . والثلثُ الصفاتُ شمسٌ واحدة وليست ثلث شموسٍ وان كان يقـال لكل صفةٍ من الثلثِ الصفات شمسٌ . لانهُ قد يُقال عن القرص انَّ الشمس قد جرت (١ في وسط السماء وعن الضوء ان الشمس دخلت الى وسط الدار . وعن السخونة انَّ الشمس قد أحرقتني . واذا كان هـذا المجرى يجري في الشمس المخلوقة ففي خالق الشمس ألطف وافضل

واماَّ رأْينا في الاتحـاد فنقول : ان الابن الازليَّ الذي هو النطق تجسَّد انساناً كاملًا من الروح القدس ومن السيّدة مرتمريم (٢ بلا انتقال عن اللاهوت ولا انفصال عن الذات كما انَّ كلام الانسان المولود من عقلهِ يصير كتاباً فيسير (٣ الى بلدةٍ ما فيتخرَّق الكتاب او يُحرق . فمن حيث الورقة والمداد يدخل عليهِ التخريق والحريق ومن حيث الكلام غير داخلٍ عليهِ عرَضٌ بل هو ثابتٌ في العقل المولّد لهُ بلا انفصال والكتاب واحـدٌ . كذلك نقول ان السيد المسيح من حيث هو كلمة الله قديمٌ ازليٌّ ومن حيث هو ابن السيـدة مرتمريم هو محـدَثٌ زمنيٌّ ففعَل المعجزَ بالطبيعة الالهيَّة واظهر العجز بالطبيعة البشريَّة . والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما انَّ قطعـة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تحرق وتضيءُ ومن حيث الحديـد تقبل الشجَّ والطيَّ والقطع من غير وصبٍ يدخلُ على طبيعة النار . والقطعة واحدةٌ جامعةٌ لطبيعتين طبيعةٍ لطيفة غير داخل عليهـا عرَضٌ وطبيعةٍ كثيفة قابلةٍ للاعراض .

---

١) ويروى : صارت

٢) هكذا كان يدعو نصارى المشرق العذراء مريم حتَّى الملكيون وقد استعاروا هذه اللغة من السريانية ܡܪܬ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم

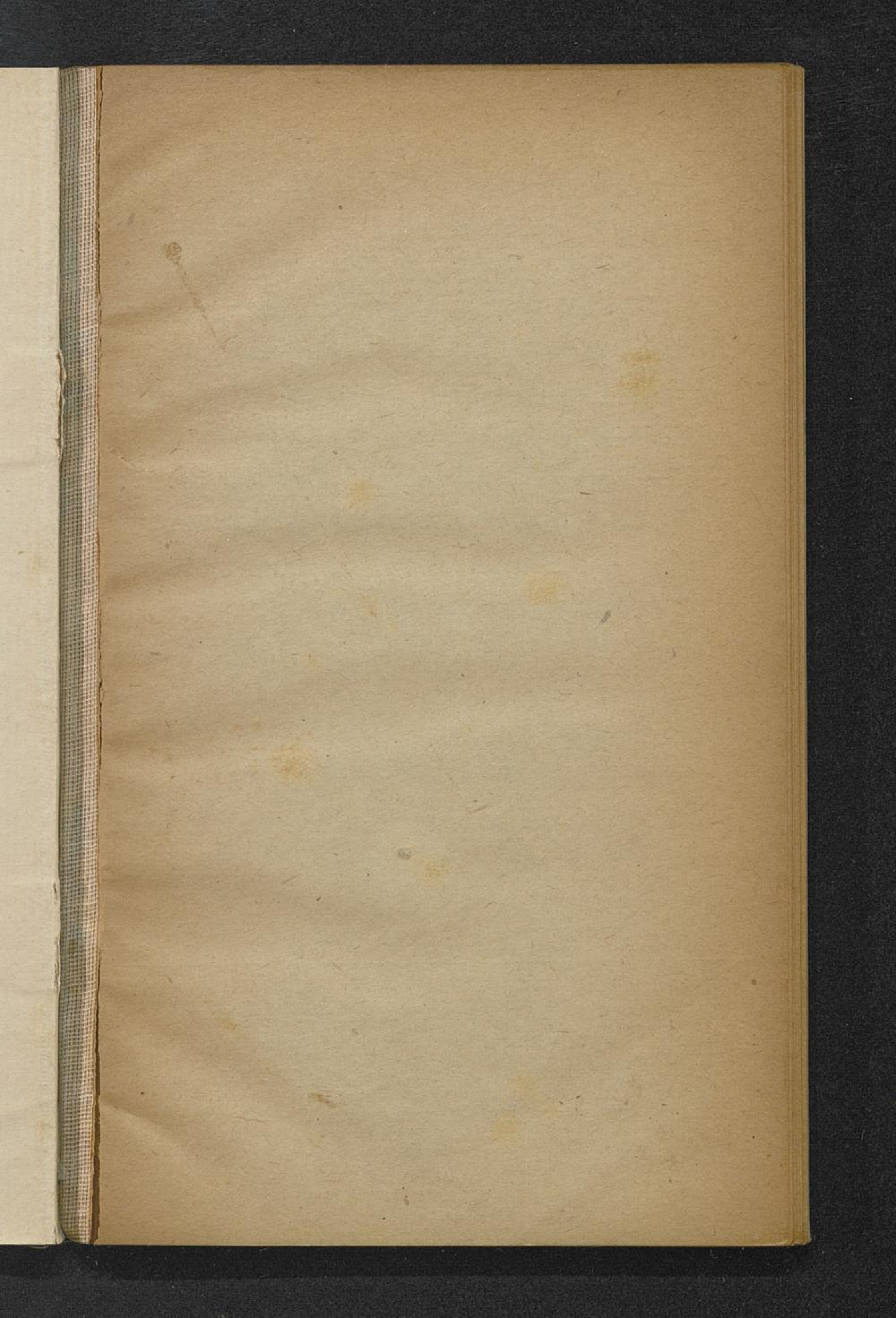
٣) ويروى : ويصل

واماً قولنا « انَّ السيد المسيح الهٌ » فلأنَّ اللطيف اذا اتَّحد بالكثيف غلب اسم اللطيف على الكثيف كما يغلب اسم النار على الحطب فلا يقال نارٌ وحطبٌ بل نارٌ . واذا كان هذا المجرى يجري في اتحاد المخلوقات ففي الخالق هو أجلّ واعظم . واماً الولادة (١ فقد تكون على وجهين منها ولادةٌ كثيفةٌ بمباضعةٍ وتناسل وتقدُّم الاب على الابن وتأخر الابن عن الاب مثل زيدٍ عن ابيهِ . ومنها ولادةٌ لطيفةٌ بغير مباضعةٍ ولا تناسلٍ ولا تقدُّم ولا تأخر الابن عن الاب مثل ولادة العقل للنُّطق وولادة قرص الشمس للضوء . والى هذا المعنى ننحو في قولنا « ابًا وابنًا » . والحمد لله على ما انعم علينا بهِ من المعرفة بتوحيد جوهره وتثليث اقانيمهِ التي هي الاب والابن والروح القدس لهُ المجد والقدرة والتسبحة والكرامة من الآن والى دهر الداهرين . آمين

يا جوهرًا من جوهرٍ  في جوهرٍ لا ينقسمْ (٢
مَن قال غير مقالتي  في ذي العلى لم يستقِمْ (٣



١) ويروى : الولودة
٢) الجوهر هنا بمعنى الذات الشخصيَّة والاقنوم لا بمعنى الطبيعة التي هي واحدة في الله سبحانهُ وتعالى لا تقبل التجزّي
٣) هذان البيتان في نسخة واحدة من النُّسخ الثلث التي نُقلت عنها مقالة ابن الراهب



# Kitāb ar-risāla al-burhānīya fī tabrīr ad-diyānīya an-naṣrānīya

Maximus Maẓlūm

Bairūt, 1912

urn:nbn:de:hbz:5:1-196822